معروف الرصافي

نظرة اجمالية في حياة المتنبي

قدمه وحققه

ابراهيم العلوي

مطبعة المعارف - بغداد
١٩٥٩

معروف الرصافي

نظرة اجمالية في حياة المتنبي

قدمه وحققه

ابراهيم العلوي

مطبعة المعارف – بغداد
١٩٥٩



صورة الشاعر الكبير التي أعدّتها الجمهورية الفتية وساماً بمناسبة
المهرجان الذي تقيمه في ١٦ آذار ١٩٥٩ تكريماً للشاعر المناضل .

الاهداء

الى الانسانية في أجل مظهر من مظاهرها
اعترافاً بتقديري لها، والاشادة بفضلها .
الى مكتبتي : أستاذي الدائم في الحياة .

ابراهيم العلوي

توضيح وتمهيد

سبق لي ، في مقدمتي للمجموعة « مع الرصافي الثائر » التي تضمنت قصائد للرصافي الكبير في شتى الأغراض الانسانية : من وطنية ، واجتماعية ، وسياسية ، أن قلت « أن ما يجده القارىء الكريم في هذه المجموعة ، هو من ودائع الصديق السيد عبد صالح الرصافي » ولم يدر بخلدي أنني سأوفق ، ثانية ، إلى اخراج أثر من آثار الرصافي ، وان كنت قد فرغت من دراسة في شعره الفلسفي ، أسميتها « حصيلة من أبيات » أرجو أن أوفق إلى طبعها ، وعكفت على أخرى في الأدب المقارن ، أسميتها « بين المتنبي والرصافي » أستعين بالله القدير على انجازها في أقرب وقت .

قلت ، لم يدر بخلدي ذلك لسببين رئيسين هما :

١ ـ ما بلغ عندي حسن الظرف ، تلك المنزلة التي أستطيع معها أن أمنح شاعرنا الكبير بعض ما يستحقه علينا من حقوق ، خصوصاً بعد أن أغمض الحظ عينه ، في المرة السابقة ، ووفقت إلى تحقيق أول أمنية غالية من أمانيه ، حيث قال :

لتجعل لي به في الناس ذكرى   يحاكي طيبها طيب اللطيمه[1]

وأقولها ـ بكل اعتزاز ـ أن المجموعة المذكورة ، إن لم تكن بما تهيأ لها من تحقيق ، فقد كانت بمقطعاتها وأغراضها الانسانية أول عبير ندي

---

(١) مع الرصافي الثائر ، ص ٥١ .

الشاعر يعبق في فردوس الثورة المجيدة ! !

٢ ـ لعلمي أن ليس للرصافي ثمة مؤلفات حفظها الدهر وأبقت عليها الأيام ، لاسيما بعد حادثة الفلوجة التي خلدها بقصيدة مطلعها :

أيها الانكليز لن نتناسى بغيكم في مساكن الفلوجة [١]

وحركة عام ١٩٤١ ، وفي كلتيهما ، كان قد فرّ بنفسه ، تاركاً كل ما يمتلكه من كتب ومخطوطات ـ وهذا كل الذي يملك ـ إلا مخطوطين اثنين أخذهما معه وهما :

١ — الشخصية المحمدية
٢ — الرسالة العراقية [٢]

وحتى هذان المخطوطان ، لم يبق لهما إلا ذكر تردده أمهات المصادر [٣] .

ولكن لم تمر أيام معدودة ، حتى دفع لي السيد عبد صالح كراساً

---

(١) نفس المصدر ، ص ٧ .

(٢) الشخصية المحمدية : مخطوطة كتبت في (٤٤) دفتراً من القطع المدرسي . يحتوي الواحد منه على (٦٠) ورقة .

أما الرسالة العراقية : فانها كتبت في (٦) دفاتر وقد أعلمني صديـق الأستاذ السيد حسن جمال الدين أنه اطلع على الجزء الأول من الشخصية المحمدية في مكتبة الاستاذ كامل الجادرجي الشخصية منقولة عن نسخـة الرصافي الأم موقعة بخط المرحوم الرصافي دليلا على اصالتها .

(٣) مصادر الدراسة الأدبية ـ يوسف أسعد داغر ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

صغيراً ، يرجوني تحقيقه وتقديمه إلى المكتبة العربية اضمامة جديدة من تراث الرصافي الغالي .

تناولت الكراس ، ثم أمعنت النظر فيه مسترسلاً ، حتى إذا ما فرغت منه ، عادت بي الذكريات إلى الوراء ، يوم قرأت ، في مكتبة مديرية الآثار القديمة ، ما تضمّنه هذا الكراس بشكل مقالات متفرقة في جريدة (الأمل) التي أصدرها الرصافي ببغداد ، جريدة يومية ، سياسية ، أدبية ، اجتماعية ، وقد صدر أول عدد منها يوم الاثنين ٢٠ صفر ١٣٤٢ هـ (أول تشرين أول ١٩٢٣) واستمرت في الصدور إلى أكثر من سنة ثم احتجبت . وكانت تنطق بلسان حال سياسة الزعيم المغفور له عبدالمحسن السعدون ، الذي ألّف الوزارة أربع مرات[1] . ولما لم يكن خط الكراس للرصافي ، فقد رأيت – لزاماً عليّ – أن أرجع الى الأصول التي نشرتها تلك الجريدة ، وتمّ لي ذلك في المكتبة المذكورة تحت رقم تسلسلي (٥٧٠٤) ولم أجد بين خط الكراس وأصوله ، كبير اختلاف إلا في الندرى . وقد أشرت اليه في مواضعه من هذا الكتاب .

وعدت إلى الكراس ، وأعدت النظر فيه ، مرة وأخرى وثالثة ، وإذا بي أمام أثر جليل يتطلب السهم الوافر من براعة التحقيق التي تستوجب البحث والتمحيص ، والدرس والتتبع ، والاستقصاء الكامل والاحاطة الشاملة لكل ما كتب في الرجلين : المتنبي والرصافي !! ، في حين لم يترك لنا جميع من كتب عنهما مجالاً لجديد ، ولا أبقى لنا مظهراً من

(١) تاريخ الصحافة العراقية – عبدالرزاق الحسني ، ج ١ ، ص ٧٢ .

مظاهر شخصيتيهما لم يحفــــل به !!

ولا أحسب شخصية تعاورتها الأقلام، وثبتت لاندياح الأفكار، بحثاً وتمحيصاً، اجلالاً واكباراً، تجريحاً وانتقاداً، كشخصية المتنبي !!

فقد يكفي لأشده القارىء، لو همست له، انني سبق ان قرأت في مائتي مرجع في أكثر من ألف موطن، وكلها بحثت في المتنبي، وتطرقت اليه في كثير من التفصيل !!

أما الرصافي، فقد تبلغ المراجع فيه حوالي خمسين مرجعاً في خمسمائة موطن، هذا عدا المجلات والجرائد، فقد بلغت عند الأول مائة وثلاثين مجلة وجريدة، وعند الثاني مائة منها [١].

ومع هذا، فان علينا أن نتلمس خبايا الشاعرين عبر المصادر الأولية ونجوس خلال حياتيهما في احاطة مقتضبة، عسى أن نقبس ولو جمراً ضئيلا من وهج الشخصيتين، نطالع فيه آثار الأولين. وتنفخ فيه الحياة كرة أخرى. فان له ما للانسانية من بعث ونشور !!

ورحت أطوّف قلمي في رسم التصميم الذي تقتضيه طبيعة هذا الأثر، فــلم أجد لي بداً إلا بالرجوع الى تصميمي الذي أطرّت به دراستي المقارنة: بين المتنبي والرصافي، واستل منه ما يصلح لهذا الكتاب. إلا أنه عزّ عليّ هذا الاقتطاف من بين تلك الخطوات المرصوفة بيتا بيتا، وقد سهرت الليالي لنسجها لحمة وسدى. ولهذا فضلت أن أقصر بحثي على ما يلي:

---

(١) ان ما أشرت اليه يتعلق بمراجع الدراسة التي وضعتها « بــين المتنبي والرصافي » وهي قيد الدرس .

١ ـ تعريف موجز بالشاعرين .

٢ ـ العلاقة بينهما من حيث الطموح وارتباط حياتها بالنسبة لحاضرنا المجيد[١] . وأرجو أن يعلم القارىء الكريم ، أن ما يطالعه في المقدمة ، لا علاقة له بما ذهب اليه الرصافي في نظرته التي لنا اليها عودة في دراستنا المقبلة . وغايتنا من هذا التنويه : تأكيد رأينا الشخصي في الذي أوردناه . ولكي لا نكون في عداد من عناهم المتنبي بقوله :

أبمين مفتقر اليك نظرتني ... فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم ، أنا الملوم لأنني ... أنزلت آمالي بغير الخالق[٢]

(١) أشكر صديقي العزيز الدكتور محسن جمال الدين . لارشاداته القيمة وتوجيهاته الكبيرة .

(٢) الكنى والألقاب ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

— تعريف ودراسة —

١ ـ المتنبي عملاق من عمالقة عراقنا الحبيب ، وما أكثر الذين نبتوا على بطحائه وابنعوا على ضفاف دجلة والفرات ، جبابرة كان لهم فضل الرقي ومنّة الحضارة وصنع التاريخ في شتى الميادين ، وعلى الأخص في الحفاظ على تراث الأمة العربية الكريمة !!

ويكفي لتعريف المتنبي ، لو رددنا مع ابن رشيق في عمدته قوله : « رجل شغل الناس ، وملأ الدنيا !! »

ترك المتنبي خلفه دوياً لا يزال صداه قوياً يجلجل في أجواء الأدب العربي ، ويرن في آذان الزمن !! ولا زالت الخلائق منذ عام ٣٥٤ هـ (٩٦٥) ميلادية حتى اليوم ، تقرأه ، فتتحزب له أو عليه !!

فنا فريق لا يعدل به شاعراً !!

تسنم الذروة في حكمه وأمثاله ، في بديعه وبيانه ، في طموحه وفي شجاعته ، فهو دائماً في القمة .

وفريق ، يراه شاعراً لا يختلف عن أولئك الشعراء الذين أوقفوا شعرهم على علالي الملوك ، وصوالج الأمراء ، ولم يمدح أو يهجو ، إلا مدفوعاً بضرورات الحياة ومراسيمها .

٢ ـ أما الرصافي : فهو أحد الأفذاذ النابغين . طوّف قلمه في آفاق متعددةمن الثقافة، فهو مدقق، ولغوي، وناقد. وهو إلى هذا كله، شاعر له في السياسة لسان ذرب وجرأة في مقارعة الطغيان لم ينفرد بها على كل حال. فقد عرف هذا البلد الأبيّ شيوخاً ثبتوا أمام المناهضات الاستعمارية،

وكان اضطهادهم ترسيخاً للعقيدة الوطنية في قلوب المواطنين(١) .

تردد شعر الرصافي على كل لسان لما حواه من شعور رقيق ، وتحليل دقيق، ولطافة في التصوير. وقد جمع الى جزالة الاسلوب وجمال المعنى، الصدق في التعبير عن آلام الشعب ، وما يجيش في صدور المواطنين من الاماني .

والذي يستعرض الشاعرين : المتنبي والرصافي . قد يلاحظهما ، يتلاقيان في صعيد ، ويتباعدان عمودياً في آخر ، حتى يكون البون بينهما شاسعاً والمدى بعيداً .

ومما يتلاقيان عنده : هو الطموح .

فالمتنبي ، وإن كان قبل اتصاله بسيف الدولة مغموراً ، ثم تبلورت حياته تبلوراً واضحاً بعد اتصاله به ، إلا أن نفسه كانت تضطرم بثورة أكالة ، وهو لم يزل في عنفوان الشباب . فقد شرّق وغرّب ، مكافحاً مناضلاً ، وعاش مع طموحه في صراع مرير . مرة تسير به الحياة هادئة مستقيمة ، فتزهو له الآمال وتحفزه على مواصلة الكفاح ، وأخرى تسير به ضالعة عرجاء ، فينقلب الى خيبة أمل مفجعة .

قال الثعالبي « دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله، على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده، وحين كاد يتم له أمر دعوته، تأدى خبره الى والي البلدة، ورفع اليه ما همّ به الخروج، فأمر بحبسه وتقييده »(٢) وهو القائل في الحبس:

كن أيها السجن كيف شئت فقد   وطنت للموت نفس معترف

---

(١) سنأتي على ذكر هؤلاء الشعراء وشيئاً من شعرهم في دراستنا المقارنة التي أشرنا اليها لضيق المقام هنا .

(٢) يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٩٠ .

لو كان سكناي فيك منقصة   لم يكن الدر ساكن الصدف

وكان هذا في بداية أمره ، فهو لا يزال في حرارة الدعوة وحماسها والاخلاص لها ، حتى إذا ما أمضه القيد وعذبه السجن ، عاد مستعطفاً الوالي فقال :

أمالك رقي ومن شـــأنه   هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا   ء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لمـــا براني البلا   وأوهن رجلي ثقل الحديد

ولا أحسب استعطافه هذا خوراً في العزيمة وتخاذلاً في الهمة . وإنما هو اسلوب من أساليب الشفاعة للخلاص من السجن يومذاك . وفي التاريخ العربي ، عشرات الحوادث ، أكبر ذنباً ، وأخطر عقوبة ، وأشد تعذيباً ، كان البيت الواحد من الشعر كفيلاً بأن يعفو عن الجريرة [١] .

وآية ذلك ، أن المتنبي بعد خروجه من السجن لم يتخل عن طموحه وآماله ، أو أنه راح يتوجر المسكنة توجر المريض الدواء . كلا . . . بل ظل مؤمناً بأنه كفء للزعامة والقيادة . قال الثعالبي [٢] .

« ما زال في برد صباه الى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وساوسه في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الاطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله :

---

(١) سنأتي على ذكر شيء من الاستشهاد في دراستنا المقبلة . اضيق المجال هنا .

(٢) يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٩٧ .

لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدم
والطعن يحرقهـــا والزجر يقلقها ... حتى كأن بها ضرباً من اللمم

وقوله :

سأطلب حـــقي بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا ... كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا

وحيث أن اخفاقه في انتفاضاته يعزى الى افتقاره للعدة والعدد ـ وهما من مقتضيات كل انتفاضة في كل زمان ومكان ـ وأنها كانت سابقة لأوانها فكان نصيبها الفشل ، وتجنباً للخيبة ، فقد انتهج لنفسه نهجاً آخر أكثر أمناً له وأقل عثرة لمراده وإن كان أطول أمداً لتحقيق ما يصبو اليه .

لقد سلك النهج الذي اعتاده الشعراء يومذاك وغدا لهم حرفة ، وتعارفت عليه البلاطات ومطارح الحل والعقد حتى كأن عليها سيماءاً وعنواناً . فراح يمدح الامراء والولاة .

وعلى ان المتنبي ، ابن مكانه وزمانه ، فانه لم يمدحهم بعقيدة من يؤمن بأن لهم من المزايا ما يستوجب الاشادة ، ولا بأحاسيس الشاعر بما لهؤلاء من المؤهلات . وإنما مدحهم ليعزز من شخصيته في مجتمعه الذي يعتبر فيا التقرب من هؤلاء ، الذين خلقوا في أسر يمكنهم نسبهم من قيادة الناس ، والحظوة عندهم ، دعامة كبرى من الدعامات التي ترتكز عليها شخصية الفرد في المجتمع ، وليعد العدة الى قيامة أخرى غوائلة لا تبقي ولا تذر .

لهذا نجد شعره في هذه الفترة ، ليس له ذلك الزخم الدفاق الذي امتاز به شعره أيام اتصاله بسيف الدولة . ونجد كذلك ، أن المتنبي ، ما أن بلغ شأوه عند سيف الدولة ، وحظي بمراده الى جنب الامير ، حتى انشطر دست الزعامة الى شطرين : واحد يعلوه البطل سيف الدولة ، أميراً وقائداً ، والثاني يتربع عليه المتنبي ، يؤجج الحماس والنخوة والشجاعة في قلوب الجنود تارة ، ويرفع معنويات الشعب ويزيده عزماً في احتمال مقارعة الغزاة الطامعين من الروم ، ويبلغه رسالات النضال تارة أخرى . ويتجلى ترفعه ، بوضوح ، عن مدح صغار الامراء والولاة .

ولا أحسب الدكتور مهدي البصير في قوله « ان حظوة المتنبي لدى سيف الدولة ، هي الغاية التي يتوخاها من امتناعه على صغار الامراء الذين كانوا يرغبون في مديحه ، أمثال الحسن بن عبدالله وطاهر بن الحسن . فقد كان يبالغ في تقريب العرض – كما يقول أصحاب الاقتصاد – ليشتد الالحاح في الطلب ، وليبلغ الثمن أعلى حد ممكن من الارتفاع[1] » قد أصاب الحقيقة ، وليس الامر اقتصادياً ، كما تخيله الدكتور البصير ، لسبب رئيس ، هو أن المتنبي لم ير في ممدوحه – مهما عظم – حتى ولو كان سيف الدولة الامير البطل ، الذي نصر الاسلام بسيفه ، وأعز العروبة بجهاده ، هذا الذي جمع الغبار العالق على جسمه من حروبه مع الروم ، وصيّره لبنة ، لحدت معه في قبره بعد موته ، لم ير في ممدوحه هذا ، إلا نداً ولم يحسبه غير صنو !!

---

(١) في الأدب العباسي ، ص ٣٤٢ .

وهذا خطابه إلى سيف الدولة نفسه :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجـــد كلانا رب المعاني الدقاق

وقوله :

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه فانك معطيـــه واني ناظم

إن هو إلا دليل اعتزاز المتنبي بنفسه واعتداده بمنزلته ، التين هما من هؤلاء الصغار في مناط الثريا ودون الوصول اليهما خرط القتاد ! !

وهب ، أن الامر اقتصادي ـ وهو أبعد ما يكون في نظري على الاقل ـ أفلم يكن هذا دليلاً قاطعاً على أن الدرجة التي بلغت اليها بضاعته من المتانة والجودة ـ وهما دليلا نقاء المادة والاتقان في العمل والاخلاص فيه ـ لم تجز له أن يرخص قيمتها ، وأن يبخس شأنها ، فتقناولها وتتداولها أيد لا تحسن التقدير والتدبير ! ! ؟

وهو ، بهذا حفظ للعرض قدره وقيمته ، وللطلب وجاهته وحاجته . فلم يفرط في حق البضاعة ، بل أنزلها منزلاً عزيزاً مهاباً ، وعرف الشاري قدره وأوقفه عند حده ! !

هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى ، فان الاقتصادي المتـكامل ، هو الذي يسعى إلى ايجاد عدة أسواق ومعارض لتصريف بضاعته تصريفاً موازناً بين الطلب والعرض . أما اقتصاره على سوق واحدة وتعزيزه العرض فيها ، فانه يدفع بالمشتري الى الاستعاضة ببضائع أخرى ، وما أكثرها ، وعندها يتضخم الانتاج فيبور .

لقد بعد الدكتور المحترم ، وفات عليه أن مجرد احجام المتنبي في هذا

الدور من حياته عن ايجاد اسواق أخرى لبضاعته، وعزوفه عن العرض إلا على سوق سيف الدولة وحده ، إنْ هو إلا دليلٌ جازمٌ ينفي عنه صبغة الاقتصادية هذه ، ويؤكد أن للمتنبي بضاعة ، ولا كالبضائع !!

بضاعة ، ليست لها خصائص البضاعة التي ذهب اليها الدكتور المحترم، والتي كانت في مجموعها ، مبنى ومعنى ، تفككاً وانحلالا .

وإنما للمتنبي بضاعة : موادها الاولية ـ كفاحه عبر السنين ، وتحاتت صفحات عمره صفحة إثر صفحة ، وتوجره الصبر والتجارب القاسية .

وبواتقها : تلك الانتفاضات التي لم يجن منها إلا الخيبة ، فآلت سوساً ينخر في كيانه ، ومرارة تضج في أحشائه . ومع هذا فانه لم يثن عن عزمه ، ولا تخات عنه الارادة !!

بضاعته : لحمتها همته القعساء ، ومروءته الشامخة ، وسداها عزمه الجبار ، وطموحه المتعالي .

ومن كانت له مثل هذه البضاعة ، حق له أن يترفع ما شاء له الترفع ، وجاز له أن يغليها على سيف الدولة وحده كما تغلب العين انسانها !!

واعتبر المتنبي أبياً ذا شمم وهو بعد لم يحظ بسيف الدولة ، ولم يتصل بهؤلاء الصغار من الامراء والولاة . ولم يكن المال رائده أو الغاية التي يسعى من أجلها . ولو كان سعيه من أجل ذلك ، لما جاب الاقطار وساح الشام والعراق ولاقى السجن والعذاب والشقاء ، واضطر الى مدح من هو دونه روحاً وحياة من صغار الولاة والامراء ، وحتى إذا ما سنحت له فرصة الحظوة بسيف الدولة ، يروح يشترط عليه ألا يقبل الارض بين

يديه ، والا يقف عند انشاده الشعر كما يفعل غيره من الشعراء !!

هذا ، وثلاثة آلاف الدينار ، بالنسبة للشاعر المتكسب ، تحير اللب وتذهب بالصواب ، وتسيل الكثير من لعابه ، وتجعله تابعاً يدور في فلك البلاط ، مداحاً بلسان وهجاءاً يسب بنفس اللسان !!

أليست هذه البادرة وحدها دليلاً على عزة نفسه وسموق ما هدف اليه !!؟ ولم يقف هذا التجني عند هذا الحد حسب ، بل تعداه الى أن يرميه البعض ـ لشروطه هذه ـ بالجنون في غير ما اشفاق أو رحمة [١] .

أينسب الى الجنون ، من لا يريد لنفسه أن تهان ، ولا لكرامته أن تذل !!؟

أيكون مجنوناً ، من لا يلوي الى التصاغر جيداً ، أو يمدّ الى الاستجداء يداً !!؟

ولماذا رضخ سيف الدولة لهذه الشروط ! ؟ وهو الامير البطل الذي اعتاد هذا النوع من الاحترام وأساليب أخرى متنوعة من الملق والتزلف والتعقيد ، وحوله من الشعراء المبرزين من يقنع بعشر صلة المتنبي !!

أليس هذا دليلاً دامغاً ، على أن للمتنبي شخصية توجب الاحترام والتهيّب ، وان سيف الدولة قد لمس جوانب العظمة في شخصية المتنبي ، وعرف أن هذا رجل ليس كالآخرين فرضي بشروطه ولم يعتبرها جافية أو فيها شيئاً من مكابرة أو خروجاً على المألوف .

ودليل آخر نسوقه ، ما قاله الدكتور عزام [٢] :

---

(١) الصبح المبني ، ص ٤ .
(٢) ذكرى المتنبي ، ص ١١١ .

« اشترط المتنبي هذه الشروط ، لأنه اعتاد أن يتخذ من الممدوحين أصدقاء لا سادة ، فأشفق على نفسه أن تسام الهوان وأن تكلف ما يتكلفه الآخرون في لقاء الملوك » .

وأخيراً ، فان ما تحمله المتنبي العظيم ، من المصاعب والمثالب ، كان من أجل طموحه ، فلقد تحسس المتنبي ما يلاقيه في سبيل ذلك (١) .

وتاقت نفسه إلى زعيم يربط مصيره بمصيره ، ويشبع ما في نفسه من طموح ، ويشاركه الحيـــاة في حيث يكفل لنفسه الحماية في ظل ذلك الزعيم . وقد وجد ضالته عند سيف الدولة ، فقـــد رأى فيه رجل العروبة والاسلام ، الساهر على دروب الروم يحمي التخوم العربية ، غناه أصدق أغانيه المدحية (٢) ، والحربية ، وكم من مرة عرض نفسه للموت لكي لا تفوته تلك اللقطات الحاسمـــة في نضال العرب مع أعدائهم ، حتى كان شعره الحربي ، ملاحم تتكسر فيها السيوف على السيوف ، والقسي على الرماح ، ويتراءى من خلالها كر الشجعان وفرار الأعداء !!

---

(١) نشر الدكتور الفاضل السيد جمال الدين مقالة بعنوان : « المتنبي منسي في وطنه مذكور في الاندلس » بمجلة النبراس المغربية الصادرة في عام ١٩٥٨ ، أشار فيه الى ما يتعلق بواجبنا تجاه ذكرى رجل العبقرية الخالد المتنبي .

(٢) الرؤوس — مارون عبود ، ص ٢٧٥ .

ويكفي المتنبي فخراً أن شعره في سيف الدولة تسجيل رائع ، وتاريخ أصدق من التاريخ نفسه في تصوير تلك الايام المشرقة من كفاح العرب ضد الروم !!

ومن هذا الكفاح المجيد ، كان سر خلود شعر الشاعر العظيم ، وسيبقى ما بقي النضال مع القوى الغاشمة . وما دام للعرب الاحرار عرق ينبض وقلب يدق !!

ولو كانت للقلم سعة يلوذ بها في هذه الصفحات ، لأطلعت القارىء الكريم على جوانب أخرى من سمو المتنبي وطموحه . ولكن هذه العجالة ، تلزمنا بالاكتفاء بالذي أوردناه لنستعرض جوانب الطموح عند الرصافي الكبير .

تمثل طموح الرصافي في جوانب كثيرة متعددة ، فمنه ما تمثل في عصاميته التي رفعته إلى مصاف المشاهير ، وكانت العامل الاول في إشاعة شعره وشعبية نظمه . فقد ساعدته على التغلغل في أغوار الاوساط الشعبية ، يصور ما تعتمل به النفوس وتستشعره الأفئدة وتتحسسه الارواح ، بتلك البساطة التي تميز بها مجتمعه في غير تكلف أو تصنع أو تعقيد . ويعبر عن الجماهير تعبيراً صادقاً صريحاً دونما مكابرة أو ابهام فقال :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر

وقوله :

وارسلته عفواً فـكان كما ترى   قوافي تجتاب البـلاد سراعا

وقوله :

لعمرك ان الحر لا يتقيد   الا فليقل ما شاء في المفند
إذا أنا قصّدت القصيد فليس لي   به غير تبيان الحقيقة مقصد
نشدت بشعري مطلباً عز نيله   وان هان عند الشعر ما كنت أنشد
فللنجم بعدٌ دون ما أنا ناشد   وللدر قدر دون ما أنا منشد
وكم جنّبتني عزة النفس منهلاً   يطيب به لكن مع الذل مورد
وما أنا إلا شاعر ذو لبانة   أنوح بها حيناً وحيناً أغرد
ولي بين شدقي الهريتين صارم   يسلّ على الأيام طوراً ويغمد
تعودت تصريحي بكل حقيقة   وللمرء من دنياه ما يتعود .

ومن طموحه ، ما تمثل في كفاحه عن مجتمعه فيما سببه له الظلم والطغيان من جور وعسف ، تارة مستنهضاً بقوله :

أما آن أن يغشى البلاد سعودها   ويذهب عن هذي النيام هجودها
متى يتأتى في القلوب انتباهها   فينجاب عنها رينها وجمودها
عجبت لقوم يخضعون لدولة   يسوسهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها   وأموالها منهم ومنهم جنودها
أما أسد يحمي البلاد غضنفر   فقد عاث فيها بالمظالم سيدها
برئت إلى الأحرار من شر أمة   أسيرة حكام ثقال قيودها
إذا وليت أمر العباد طغاتها   وساد على القوم السراة مسودها

وأصبح حر النفس في كل وجهة   يرد مهاناً عن سبيل يريدها
وصارت لئام الناس تعلو كرامها   وعاب لبيداً في النشيد بليدها
فما أنت إلا أيها الموت نعمة   يعز على أهل الحفاظ جحودها

وقوله :

لا يغضبون لأمر عمّ باطله   كأنهم غير مخلوقين من عصب
وليس تندى من الإكراه أوجهم   كأنما القوم منجورون من خشب

وقوله :

بغداد حسبك رقدة وسبات   أو ما تمضك هذه النكبات
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت   أدواء خطبك ما لهن أساة
قلب الزمان اليك ظهر مجنة   أفكان عندك للزمان ترات
ان البلاد إذا تخاذل أهلها   كانت منافعها هي الآفات

وتارة منذراً في جرأة متناهية بقوله :

حكومة شعبنا جارت وصارت   علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارت   وكل حكومة ظلمت وجارت

فبشرها بتمزيق الحدود

وقوله :

خضعنا لحكام تجور وقد حلا   بأفواهنا من مالنا مأكل سحت
كما قامرتنا ساسة الأمر خدعة   فتم علينا بالخداع لها الدست

وأخرى ثائراً بقوله :

كيف القرار على أمور حكومة   حادت بهن على الطريق الأمثل

في الملك تغمل من فضائع جورها ... ما لم تقل وتقول ما لم تفعـــل
ملأت قراطيس الزمان كتابة ... بالعدل وهي بحكمها لم تعـدل

حتى يقول :

أفبعد هـــذا يا سراة مواطني ... نرضى ونقنع بالمعاش الأرذل
الموت من هـــذا الجمود فانه ... تالله أهون منه سم الجنـــدل
حتام نبقى لعبـــة لحـكومة ... دامت تجرعنا نقيع الحنظـــل
تنحو بنا طرق البوار تحيّـفـا ... وتسومنا سوء العذاب الاهول
ما بالنا منها نخاف القتل إن ... قمنا أما سنموت إن لم نقتـــل

وقوله :

أهكذا تبقى الحـكومة عنـــدنا ... كلما تموه الورى وتزخرف
حكت مشددة علينا حكمها ... أما على الدخلاء فهي تخفف

إلى أن يقول :

إن دام هذا في البـــلاد فانه ... بدوامـــه لسيوفنا مسترعف
لابد من يوم يطول عليكم ... فيه الحساب كما يطول الموقف
فهنالـكم لم يغن شيئاً عنكم ... لسن تقول ولا عيون تذرف
الشعب في جزع فلا تستبعدوا ... يوماً تثور به الجيوش وتزحف
كم من نواص للعـــدا سنجزها ... ولحى بأيدي الثائرين ستنتف

ومن طموحه ما تمثل في مشاعره القومية التي اذ كاها مشاعل أنارت سبل الكرامة إلى المواطنين فقال :

معشر العرب أين أنتم من القو ... م إذا ما تم انقـــلاب الزمان

أنيام والدهر يفتح فيكم   من جـديديه مقلتي يقظان
فانهضوا اليوم مستجدين مجداً   كالذي كان دونه القمران
ان للمجد في المساعي محـلا   عاليا لا يحله المتواني
... قل لمن رام صدعنا بشقاق   أنت كالوعل ناطح الصفوان

وقوله من قصيدة عنوانها « دمشق تندب أهلها ».

وقلت لها : من أنت رحماك انني   لك اليوم خـل صادق وأمين
فقالت : وقد ألقت إليّ بنظرة   عن القصد فيها معرب ومبين
أنا البلدة الثكلى دمشق ابنة العلى   أما أنت في مغنى دمشق قطين
ألم تر أبنائي يساقون للردى   فمنهم قتيـل بالظبا وسجين
فأين أباة الضيم من آل يعرب   ألم يأت منهم ناصـر ومعين
فقلت لها : لبيك يا أمّ انهم   سيأتيك منهم بارز وكمين
سندرك فيك الثأر من أنفس العدا   ونوقد نار الحرب وهي زبون .

وقوله :

ما بال قومي على الارهاق قد صبروا   كأن اشهر قومي كلهـا حرم
قد انهضتهم الى العلياء وحدتهم   واليوم أقعدهم عنها ان انقسموا
كان التعاون غرزاً في غرائزهم   حازوا به الشرف الوضاح واغتنموا
ثم اغتدوا بعد حين في جوانحهم   نار التخـاذل بالشحناء تضطرم

إلى أن يقول :

ابلغ بني وطني عني مغلغـلة   في طيها كلم في طيها ضـرم
ما بالهم لم يفيقوا عن عمايتهم   وقد تبلج اصباح المـنى لهم

إلى متى يخفرون المجـــد ذمته ... أليس المجد في انسابهم رحم
ومن يعش وهو مضياع لفرصته ... ذاق الشقاء وأدمى كفه الندم
وكل من يدعي في المجد سابقة ... وعاش غير مجيـــد فهو متهم

وقوله :

أقول لقومي قول حيران جازع ... تهيج بـــه اشجانه فيقول
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم ... فتذهب عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجـــد المؤثل سعيكم ... فيسكت عنكم لائم وعذول
تريدون للعليا سبيلاً وهل لكم ... اليها وأنتم جاهلون سبيـــل
ولو أن فيكم وحـــدة عصبية ... لهان عليكم للمرام وصول
ولكن إذا مستنهض قام بينكم ... تلقاه منكم بالعنـــاد جهول
وأي فريق قام للحق صده ... فريق طلوب للمحال خـــذول
وإن كان فيكم مصلحون فواحد ... فعول وألف في مـــداه قئول
على أن لي فيكم رجاء وان أكن ... إلى اليأس أحياناً أكاد أميل
السئم من القوم الأُولى كان علمهم ... به كل جهل في الأنام قتيـــل
الا نهضة علمية عربيـــة ... فتنعش أرواح بها وعقـــول

وقد تجلى طموح الرصافي بوضوح في نزعته الانسانية نحو أبناء الشعب. إذ راح ينمي فيهم روح الثقة بالنفس والاعتداد بالشخصية فقال:

سر في حياتك سير نابه ... ولم الزمان ولا تحابـــه
وإذا حللت بموطن ... فاجعـل محلك في هضابه
واختـــر لنفسك منزلاً ... تهفو النجوم على قبابـــه

وركم العــــلاء مخاطراً فيما تحاول من لبابه
والمجـــد ليس ينــاله إلا المخاطر في طـــلابه

وقوله :

أرى مستقبل الأيام أولى بمطمح من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصد غير ساع يردد في غد نظراً سديدا

ولم يقصر جهده على هذه المبادىء حسب ، بل تجاوزها إلى المرأة وطالب بتحريرها من الأغلال التي أوجدها الاستعمار(١) ، وما قصائده المعنونة بـ : المرأة في الشرق ، ونساؤنا ، وحرية الزواج عندنا ، والمرأة المسلمة ، وغيرها ، إلا دليلٌ على ما أراده لها من عز وكرامة ورفعة ومكانة .

ومن النواحي الأخرى التي تجلى فيها طموح الرصافي ، فيما اتسم به من صلابة في العقيدة الوطنية ورسوخ في مبادئه الشعبية . حتى كان بحق من شعراء النضال . حارب الفساد وكافح الاستعمار ، ودافع عن الشعب وحرية رأيه وعقيدته دفاع المستميت ، وكل سلاحه لسان مسنون ورجولة في المبدأ . وقد لقي في سبيل ذلك أشد أنواع المخاصمة والعذاب فلم يهن أو يلن . فمن حرمان تمثل في قوله :

(١) الاستعمار التركي الاثيم الذي سبب لمجتمعنـــا ويلات ومصائب ، وخلق لعراقنا الحبيب وأمتنا العربية الكريمة ظروفاً قاسية مريرة وأزمات متنوعة من اقتصـــادية الى اجتماعية الى دينية ، كانت السبيل الممهد للاستعمار الانكليزي الاثم ، ولم يزل الشعب العراقي الأبي يئن من تلك المعضلات حتى اليوم . للتفصيل راجع الشعر العراقي في القرن التاسع عشر – للدكتور يوسف عز الدين .

يا معبديّ بظلم عن مناصبهم ... وقاطعين إلى ما أبتغي طرقي
علمت كل خفي من ضمائركم ... وما علمت الذي ترضون من خلق

إلى أن يقول :

وان أبيتم سوى من عرضه دنس ... فلست معكم على شيء بمتفق
لا أبعد الله غيري عن مناصبكم ... اني بتدنيس عرضي غير مرتزق

إلى تشريد وابعاد عن الوطن إذ يقول :

هي المواطن أدنيها وتقصيني ... مثل الحوادث أبلوها وتبليني
حتى متى أنا في البلدان مغترب ... نوائب الدهر بالانياب تدميني
أنا ابن دجلة معروفا بها أدبي ... وان يك الماء منها ليس يرويني

إلى أن يقول :

أفي المروءة أن يعتز جاهلها ... وأن أكون بها في قبضة الهون
وان يعيش بها الطرطور ذا شمم ... وان أسام بعيش جدع عرنيني
تالله ما كان هذا قط من شيمي ... ولا الحياة على النكراء من ديني
ولست أبذل عرضي كي أعيش به ... ولو تأدّمت زقوماً بغسلين
ما كنت أحسب بغداداً تحلئني ... عن ماء دجلتها يوماً وتظميني
حتى تقلد فيها الأمر زعنفة ... من الأناس بأخلاق السراحين

هذه بعض جوانب الطموح عند الرصافي ، طالعناها في أحاسيسه الشعرية وخلجاته الانسانية . وهناك جانب ، وان كان لم يخف على الكثيرين ، فقد فات على من عني بالرصافي وشعره ، ذاك هو أمر عزوبته ! !

إذ لم يكن في مقدوره أن يتجرد من عواطفه النضالية ليستذوق الحياة وإلى جواره شعب هده الظلم وأوهنه الطغيان ، ويستطيب العيش وهو في وطن منهوب تجتاحه أعاصير هوجاء من الأطماع والمفاسد . فكان أن عاش ومات مكرساً حياته وناذراً بشريته لتحرير الوطن والمواطنين ، والنهوض بالنشء العزيز إلى المكانة اللائقة به بين الأمم ، وقد تحلت في نفسه هذه النزعة تحلل الاريج في الهواء . فكان أن أبقى الذكر الجميل الذي يتردد على لسان كل مواطن حر شريف .

ولهذا فقد حقت على شباب هذه الأمة «أبوة الرصافي الروحية» بعد أن ضحى من أجلهم بأبوته المادية فكان له ذلك الباقيات الصالحات[1] .

ابراهيم العلوي

بغداد في ٢٥ كانون أول ١٩٥٩

---

(١) علينا أن نشير ، أن الدكتور الفاضل السيد محسن جمال الدين نشر في مجلة الأدب ـ بعد وفاة الرصافي مباشرة ـ مقالة أثار فيها بوجوب فتح ندوة باسم الرصافي وكان أول من دعا الى تقدير الرصافي والاعتناء بشخصيته .

« نظرة اجمالية في حياة المتنبي »

للشاعر الكبير

* معروف الرصافي *

(١)

ليس الانسان بابن أمه وأبيه فقط .

نعم ان الانسان من حيث إنه حي عاقل متخلق بأخلاق متخالفة وجارٍ على عادات متباينة ، ومن حيث انه خاضع لظروف وأحوال متضاربة بين الخير والشر ، ومن حيث إنه مدفوع بدوافع شتى الى أفعال متراوحة بين الحسن والقبح ـ إن الانسان من هذه الحيثيات كلها ، لا يكون بابن أمه وأبيه فقط ، بل كما أنه ابن أمه وأبيه كذلك ، هو ابن أسرته وعشيرته ، وابن الدين الذي يدين به والنحلة التي ينتحلها . وكذلك هو ابن المجتمع الذي عاش بين أهله ، والاقليم الذي تقلب تحت جوه ، وكذلك هو ابن الأمّة التي انتمى اليها والحكومة التي خضع لأحكامها ، وبالجملة هو ابن زمانه ومكانه .

ومعنى أنه ابن هذه الأمور كلها ، أن كلاً منها يُعَدُّ سبباً من أسباب تكوينه مادياً وأدبياً . فالزمان والمكان والدين والعقيدة والحكومة والحالة الاجتماعية والعادات القومية ، كلها ذات صلة بتكوين المرء ، لا تقل في الحقيقة عن صلة أبيه وأمه به .

فالانسان إذن ليس بابن أمه وأبيه فقط ، بل هو ابن هذه الأمور كلها.

فاذا أردنا أن نعرف حياة رجل من الغابرين معرفة حقيقية ، وجب علينا أن نلم بهذه الأسباب التي كل واحد منها ذو علاقة بتكوينه وإنشائه على الصفات التي كان عليها في حياته . فكما يجب أن نعرف بالضبط

حياة أمه وأبيه وأسرته وذويه ، كذلك يجب أن نعرف أحوال الظروف التي نشأ فيها من زمان ومكان . وإلا ، لم نكن عرفنا من حياته سوى أنه ابن فلان ، وأنه ولد سنة كذا ، وعاش كذا مدة من الزمن . ومعرفة ذلك لا تجدي نفعاً ، لأننا نريد أن نعرف حياته معرفة تحليلية بعللها وأسبابها ، حتى يكون كرجل عاش بين ظهرانينا ، فجالسناه ، وعاشرناه زماناً طويلاً ، فعجمنا عوده ، واطّلعنا على عُجره وبُجره[1] .

هذه هي الطريقة التي يجري عليها كتاب العصر في تراجم من غبَرَ من الرجال . فالترجمة ليست بالأمر السهل ، بل هي محتاجة إلى بحث وتنقيب طويلين ، وإلى تحليل وتركيب صحيحين ، ربما استغرقا مدة مديدة من الزمان .

واني آسف ، جداً ، على أنني لم أجد من الوقت ما يتسنّى لي فيه أن اتفرغ للبحث والتنقيب عما يلزم لمعرفة حياة هذا الشاعر الكبير ، وأني جئت في هذه العجالة لأنظر في حياته نظرة إجمالية ، فمعذرة مني اليكم .

منشأُ المتنبي :

كل الرواة متفقون على أن المتنبي ولد في الكوفة ، ولكنه قدم الشام في صباه ، وبها نشأ وتأدب .

وهنا ترد هذه الأسئلة :—

ما سبب ذهاب المتنبي إلى الشام ؟ ومع من ذهب وهو صبي ؟ ومن

(١) أي عيوبه أو احزانه .

الذي كفله هناك حتى استطاع أن يتعلم ويتأدب في صباه ؟ وكم كان له من العمر لما فارق الكوفة ؟ .

إن هذه الأسئلة غامضة جداً ، إذ لم نجد ، فيما قرأناه من تراجم المتنبي ومن شعره ، شيئاً يكون جواباً لهذه الأسئلة ، أو لبعضها .

وقد روى له صاحب (الصبح المُنْبي) بيتين كتب بهما وهو في الحبس إلى الوالي الذي اعتقله بحمص وهما :

بيدي أيها الأمير الأريب لا لشيء ، إلا لأني غريب
أو لأُمٍّ لهـــا إذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يذوب [1]

فهذان البيتان يدلان على أنه غريب ، وأنه بعيد عن أمه .

وفي ديوان المتنبي قصيدة كتب بها إلى الوالي أيضاً ، وهو في الاعتقال ، وقد جاء في هذه القصيدة ما يدل على أنه كان عند اعتقاله دون البلوغ ، إذ قال يخاطب الوالي :

تعجَّلَ في وجوب الحدود وحدّي قُبيلَ وجوبِ الحدود

يقول : تعجل عليّ إيجاد الحدّ ، وأنا لم يجب علي السجود ، لأني لم أزل من الصبيان .

فاذا كان عند اعتقاله دون البلوغ ، فكم كان عمره يوم قدم الشام من الكوفة ؟ فهل كان ابن سبع ، أو أقل ، أو أكثر ؟ .

وذلك كله يستبعد معه سفره إلى الشام وحده .

ولما كانت حياة المتنبي في صباه هي الاساس الذي تقوم عليه ، وتعترف

(١) في النسخة المنقولة عن الأصل (بدمع عيني)

ـبه حياته من بعد ، وجب قبل كل شيء معرفتها ، لنعلل بها كثيراً من أحواله في حياته الاخرى . ولكنا ، ويا للاسف ، نرى حياته الأولى مظلمة في وجوهنا ، لا نهتدي منها إلى ما نريد .

لا شك أن أسرة المتنبي لم تكن من أولي الغنى والثروة ، وإنما كانت متوسطة الحال ، أو دون المتوسطة إذا نظرنا بالصحة إلى ما رووا من أن أباه كان سقاءً في الكوفة . ولو أن المتنبي كان نابتاً في بيت من بيوت الثروة والغنى ، لأمكن أن نقول إنه عند سفره إلى الشام أخذ معه من المال ما يكفيه ، أو أن المال كان يرسل اليه من الكوفة وهو في الشام . ولكن ، لا هذا ولا ذاك ، لأنه من بيت غير ذي ثروة .

على أنا نراه في أيام صباه وهو في الشام يمدح الناس ويأخذ منهم الجوائز ، فقد مدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب بقصيدته التي يقول في مطلعها :

أهلاً بدارٍ سباك أغيدُها　　　أبعد ما بان عنك خُرَّدُها [1]

وقال ، وهو في المكتب يمدح رجلاً آخر كناه بأبي الفضل بقصيدة ، قال في مطلعها :

كفَي أراني،ويك، لومك ألوما　　　همٌّ أقام على فؤاد أنجما [2]

ومدح في صباه ايضاً عبيد الله بن خلكان ، وسعيد بن عبيد الله بن الحسين الكلابي المنجبي ، وأبا نصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن

(١) في النسخة الأصل (سباك)
(٢) » » » (لومك)

بن الرضى الازدي ، وعلي بن أحمد الطائي ، وغير هؤلاء من رجال زمانه . فلعله كان يعيش بما يأخذه من جوائز هؤلاء الممدوحين ، إذ ليس له حرفة يحترفها ، بل لم يزل صبياً في المكتب . إن هذه الاحتمالات والظنون التي نبديها على علاتها غير كافية في فهم حياة المتنبي في صباه ، وإنما هي نظرات نقصد بها تنبيه الناظرين في حياته إلى حل هذه العويصة .

(٢)

مراميه النفسية في صباه :

كان زمان المتنبي زمان التغلب بالقوة ، فكل من ساعدته الظروف وكانت لديه قوة كافية ، استطاع أن يتغلب على البلد الذي هو فيه ، فيكون فيه مالك الأمر والنهي .

وكذلك كان في كل بلد أمير ، وفي كل قطر ملك ، بل ملوك .

ولما كان المتنبي قد فطر على جانب عظيم من الذكاء والفطنة ، وأوتي من طلاقة اللسان ، وفصاحة البيان ، وحرارة الجنان ، ما لم يؤته غيره من أهل الوسط الذي هو فيه ، تولد فيه الطموح إلى الرئاسة ، والى المناصب العالية منذ نعومة أظفاره ، وصار يحتقر الأمراء والملوك في نفسه . ويرى نفسه أحق منهم بما هم فيه . والدليل على ذلك ، ما جاء في شعره الذي قاله في حياته ، فانك إذا طالعته بتدبّر[1] ، وجدت فيه ما يدل على ماذكرنا

(١) في النسخة الأصل : بقدير

بكل صراحة . ولنورد بعض الشواهد على ذلك من شعره .

كانت للمتنبي وفرة[١] ، فقيل له وهو في المكتب : ما أحسنَ هذه الوفرةَ ! فقال :

لا تحسن الوفرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتالْ
على فتى[٢] معتقلٍ صَعْدَةً ... يعلها من كل وافي السبالْ

وقال أيضاً ، وهو من شعره في صباه :

محبي قيامي ما لذلكمُ النصل[٣] ... بريئاً من الجرحى[٤] سليماً من القتلِ ؟
أرى من فرِندي قطعة من فرنده ... وجودة ضرب الهام في جودة الصقل
وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي ... أرتك احمرار الموت في مدرج النملِ
أمِطْ عنك تشبيهي بما وكأنه ... فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

ومما يدل على أنه منذ نعومة أظفاره كانت نفسه نفس ثائر على أهل زمانه ، قوله في صباه :

الى أي حين أنت في زي مُحرِمِ ؟ ... وحتى متى في شقوة ؟ والى كَم ؟
وإلا تمت تحت السيوف مكرَّماً ... تمُتْ وتقاسِ الذل غير مكرَّم

وقال بعدما ذم مُقامه بأرض نخلة ، وهي قرية لبني كلب عند بعلبك :

عشْ عزيزاً ، أو مُتْ وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
إن أكن معجباً فعجب عجيب ... لم يجدْ فوق نفسه من فريد

---

(١) الوفرة : ما سال من الشعر على الاذنين ، وجمعها . وفار
(٢) في النسخة الأصل : فتن
(٣) » » » الفصل .
(٤) » » » والجرحى .

أنا في أمـــة تداركها الا ٭ غريب كصالح في ثمـــود

وقال في صباه ايضاً من قصيدة :

يخيل لي أن البلاد مسامعي ٭ واني منهـــا ما تقول العواذلُ
ومن يبغ ما ابغي من المجد والعلى ٭ تساوى المحابي عنـده والمقاتلُ
الا ليست الحاجات الا نفوسكم ٭ وليس لنا إلا السيوفَ وسائلُ

وقال ايضاً من قصيدة في صباه :

ليس التعلل بالآمال من اربي ٭ ولا القناعة بالإقلال من شيمي

ومنها ، وهو يدل على انه كان رقيق الحال ، اي فقيراً :

لُم الليالي التي اخنت على جدتي ٭ برقّة الحال واعذرني ولا تلُم
أرى أناساً ومحصولي على غـــنم ٭ وذكرَ جود ومحصولي على الكلم

وقال يخاطب نفسه بعد توعدّه أهلَ زمانه :

ردي حياض الردى يا نفس واتركي ٭ حياضَ خوف الردى للشاء والنَعَم
إن لم أذرك على الأرماح سائلةً ٭ فلا دُعيتُ ابنَ أمّ المجد والكرم

ومنها ، وهو يدل على احتقاره الملوك والأمراء في زمانه ، وأنه يرى نفسه أحق منهم بالملك :

أيملك الملك والأسياف ظامئة ٭ والطير جائعة لحم على وَضَم ؟
مَنْ لو رآني ماءً مات من ظمأ ٭ ولو عرضت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ٭ ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان أجابوا ، فما قصدي بها لهم ٭ وان تولوا فما أرضى لها بهم

إن هذه الشواهد التي ذكرناها هنا ، ليست من القصائد التي امتدح

بها المتنبي رجال زمانه ، وإنما هي من قصائد قالها في أغراض نفسية [١] ، ولم يصانع في قولها أحداً ، فهي إذن تدل دلالة واضحة على ما كان يرمي اليه من الرئاسة [٢] ، وعلو المنزلة ، وعلى مقته من كان في زمانه من الملوك والأمراء ، واحتقاره إياهم . وهل يدل هذا على أنه كان كبير النفس ؟

نحن نجيب على [٣] هذا السؤال بما يأتي :

هل كان المتنبي كبير النفس ومن عظماء الرجال ؟

سمعت مرة أحد أصدقائي الفضلاء ، وأنا في القدس يتكلم عن [٤] المتنبي ، ويصفه بأنه كبير النفس ، فأنكرت عليه ذلك . وأنا ابين هنا رأيي في هذه المسألة بما يتضح به وجه الإنكار فأقول :

إن المتنبي وان كان من نعومة أظفاره يرمي إلى عظائم الأمور ، ويطمح الى المناصب العالية من الرئاسة وعلو المنزلة ، ويستصغر في جنب [٥] همته جميع معاصريه من الملوك والأمراء كما دل عليه شعره — لم يكن صادق العزيمة ، ولا قوي الإرادة . وأنت تعلم أن أول شرط يشترط لكبر النفس ، هو صدق الإرادة ، وقوة العزيمة .

أما المتنبي ، فانه في أول أمره طلب الرئاسة بالسيف ، وهو يعلم أن

(١) في الأصل المنقول (نفسه) .
(٢) في الأصل المنقول (الرئاحة) .
(٣) الصواب تعديته بـ (عن) .
(٤) الصواب تعديته بـ (على) .
(٥) في الأصل المنقول (جينب) .

لا وسيلة الى الرئاسة في زمانه إلا السيف ، فخرج على والي حمص ، وهو ابن علي الهاشمي ، وكان خروجه في بني عدي بأرض سلمية من عمل حمص ، فبلغ الوالي أنه يريد أن يأخذ البلد ، ويستولي عليه . والظاهر أن المتنبي لم يكن مستعداً للأمر الذي يحاوله ، فقبض عليه ابن الهاشمي في قرية يقال لها (كوتكين) ، وجعل في رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف ، فقال المتنبي :

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبته : مذ صرت من أبنائهم صارت قيودهم من الصفصاف !

وقال ، وهو في السجن يخاطب رجلاً يعرف بأبي دلف بن كنداج :

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

إلى هنا نرى المتنبي رابط الجأش ، ثابت العزم ، غير مبال بالسجن ولا بالموت في سبيل ما يرميه لنفسه كما تدل عليه هذه الأبيات . ولننظر ما كان منه بعد ذلك .

(٣)

لا نعلم كم لبث المتنبي في السجن . والظاهر أنه لم يبق فيه مدة طويلة . ولكنه ظهر منه الجزع ، وبدا فيه خَوَرُ العزيمة وضعف الإرادة . فبينا كنا نسمعه يقول :

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطّنت للموت نفسَ معترف

إذْ رأيناه يكتب من السجن إلى الوالي قصيدة تدل على أنه انكسر عزمه ، وانحلت عُرا[1] صبره ، حيث قال في تلك القصيدة :

أمالكَ رقّي ومَنْ شأنه ... هبات اللجينْ وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء ... والموت مني كحبل[2] الوريد
دعوتك لمّا براني البلاء ... وأوهن رجليّ ثقل الحديد
وقد كان مشيها في النِعالِ ... فقد صار مشيها في القيود
وكنت من النّاس في محفل ... فها أنا في محفل من قرود
فمالك تقبل زُورَ الكلام ... وقدرُ الشهادة قدرُ الشهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ... ودعوى فعلت بشأوٍ بعيد

ومعنى البيت الأخير ، يقول : ينبغي أن تفرق بين دعوى من يقول أردت أن أفعل كذا ، ودعوى من يقول فعلت كذا .

أي أن الذين وشوا بي عندك إنما قالوا لك إنه يريد أن يأخذ البلد ، وما قالوا لك إنه أخذ بالفعل . وبين الإرادة والفعل بون بعيد .

ففي هذا البيت اعتراف من المتنبي بالذنب ، إذ اعترف فيه بأنه أراد الخروج على الوالي ، ولكنه اعتذر بأنه لم يفعل ، وأن ارادته بقيت مجردة عن الفعل . وهو اعتذار بارد في هذا المقام . وسواء أطالت[3] مدة سجنه أم قصرت ، فماذا فعل المتنبي بعد خروجه من السجن ؟

---

(١) في الأصل المنقول (عرى) .
(٢) في الأصل المنقول (كجبل) .
(٣) في الأصل المنقول (طالت) .

إن حياة المتنبي تنقسم بعد هذه الحادثة إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول ينتهي باتصاله بسيف الدولة ، والدور الثاني ينتهي باتصاله بكافور الإخشيدي في مصر ، والدور الثالث ينتهي بحادثة قتله في العراق .

أما هو في الدور الأول[1] ، فشاعر سائل ، يمدح كل من يطمع في نواله من الناس ، فلا فرق بينه وبين غيره من شعراء عصره في مدح الناس لأخذ الجائزة ، سوى أن المتنبي لمّا كانت شاعريته أقوى من غيره كان الناس في مدحه أرغب منهم في مدح غيره من الشعراء .

وإذا شئت أن تعرف الذين أضاع المتنبي شعره بمدحهم في هذا الدور ، فهؤلاء هم :

(١) أبو العشائر الحسن بن علي العدوي .

(٢) أبو القاسم طاهر بن حسين العلوي .

(٣) أمير الرملة أبو محمد الحسن بن عبدالله .

(٤) علي بن محمد بن سيار التميمي .

وغيرهم نحو سبعة وعشرين رجلاً بين ملك وأمير وكاتب وقاضٍ وغيره ، وليس فيهم ما ينطق المتنبي بمدحهم سوى أخذ الجائزة .

فالمتنبي في هذا الدور شاعر سائل متملق ، يمدح الملوك والأمراء ، ويصحبهم ، ويجالسهم . فاذا قام أحدهم قال فيه شعراً ، وإذا قعد قال فيه شعراً ، وإذا شرب ارتجل فيه شعراً ، وإذا نطق قال له : قلت حقاً ،

---

(١) في الأصل المنقول (في الدور فشاعر) .

وإذا قتل أحداً قال : أحسنت أحسنت ، وإذا ظلم أحداً قال : عدلت ، وهكذا .

غير أن المتنبي كان له عند هؤلاء مقصد آخر غير أخذ الجائزة ، وهو نيــل ما ترمي اليه نفسه من المناصب العالية بواسطة اتصاله بالملوك والأمراء ، ومدحه إياهم .

لكنه لم يتجاسر أن يبوح لهم بمقصده هذا ، لا في هذا الدور ، ولا في الدور الذي بعده . وإنما باح به وذكره لكافور فقط ، إذ قال له من قصيدة يمدحه بها :

أبا المسك ، هل في الكأس فضل أنا لهُ ؟ فاني أغنّي منذ حين وتشربُ !
إذا لم تنط بي ضيعة أو[1] ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

والنتيجة هي أن المتنبي كان يرمي الى هذه الغاية منذ أيام صباه ، فأخذ أولاً يطلبها من طريق القوّة ، لكن والي حمص كان أقوى منه فقهره ، فرجع عنها من هذا الطريق ، وصار يطلبها من طريق آخر ، وهو اتصاله بالملوك والأمراء ومدحه إياهم . ولو كان المتنبي ذا عزم قوي ، وإرادة صادقة ، لما رجع لأول صدمة أصابته عن طلب الولاية والرئاسة من طريق القوة . ولكنه لما أُلقي في السجن ، خار عزمه ، ووهنت إرادته ، فرجع ، وصار يطلب لُبانته[2] من طريق الاستجداء بالشعر ، مع أنه يعلم ، علم اليقين ، أن زمانه زمان تغلب ، وأن الرئاسة فيه لا تستجدى ،

(١) في الأصل المنقول (و) .

(٢) في الأصل المنقول (ابنته) . واللبانة ، هي الحاجة من غير فاقة بل من همة.

وإنما تؤخذ قهراً بالسيف ، وأن العلم والأدب لا يجديان نفعاً ، وان من كان ذا قوة ومكر وخديعة استطاع أن يحصل في ذلك الزمان على إمارة ، أو ولاية ، وإلا فلا ؛ لأن الحكومة في زمانه كانت متعددة بتعدد البلاد ، وكانت قائمة بالأشخاص ، لا بالقوانين والنظامات السياسية ، فكان طريق الخروج على الحكومة سهلاً ، لاسيما إذا كان الشخص الذي قامت به الحكومة جائراً .

فلو كان المتنبي كبير النفس ، لثبت في دعواه ، ولم يرجع عن طريقه ، ولكان كشبيبٍ الخارجي[1] فإما أن يصل الى مطلوبه ، وإما أن يموت دون الوصول اليه . ولكن المتنبي لم يثبت ، بل رجع لأول صدمة أصابته بالسجن .

ثم إنه أذل نفسه ، وابتذل شعره في مدح من لا يستحقون مدحاً ، وهو مع ذلك يحتقرهم[2] ويراهم دونه في كل شيء كما قال :

أيملك الملك والأسياف ظامئة والطير جائعة لحمٌ على وَضَمِ[3] ؟

* * *

(١) شبيب بن يزيد (٤٦ — ٦٩٧) . ولد بالقرب من الموصل من جارية رومية . زعيم الخوارج . شن الحروب على الأمراء . هلك في الماء في وثمة عند جسر دجيل الأهواز .

(٢) في الأصل المنقول (يحتقرهم دونه) .

(٣) الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم . يجمع على أوضام وأوضمة ، ويقال : تركهم لحماً على وضم . أي أوقع بهم فذللهم وأوجعهم .

(٤)

ثم إنه ماذا لقي في الدور الثاني من حياته عند سيف الدولة ؟ ولعمري إن حياة المتنبي عند هذا الرجل لمن المعميات التي يصعب حلها . ! !

كان موقف المتنبي تجاه ممدوحيه في الدور الأول موقف السائل تجاه المسؤول ، والتابع تجاه المتبوع ، والكاذب تجاه المكذوب عليه ، وليس هو كذلك تجاه سيف الدولة الذي كان المتنبي عنده عزيزا وذليلا في وقت واحد .

كان عزيزاً : لأنه كان يجري عليه في السنة ثلاثة آلاف دينار ، عدا الاقطاعات التي أقطعه اياها .

وكان ذليلاً : لأنه طالما غضب عليه من غير حق ، وأعرض عنه من دون ذنب ، وربما قدم عليه من لا خير فيه من الشعراء إهانةً له . وكان يتأخر عن مدحه في بعض الأحيان فيشتد غضب سيف الدولة ، ويغري به أوباش[1] الناس ليهينوه ، وكم مرة أهين المتنبي في مجلسه ، ولم ينتصر له حتى أهين مرة بمحضر منه وشجّ رأسه شجةً أسالت دمه ، وسيف الدولة ساكت لم ينطق ببنت شفة . ! !

وخلاصة القول ، إنّ المتنبي لازم سيف الدولة زهاء تسع سنين لقي فيها منه الأمرّين . كل ذلك والمتنبي لم يحد عن مدحه ، ولم يفتر عن حبه ، بل احتمل منه كل إهانة ، ولم يهجه بعد فراقه كما هجا كافوراً ،

---

(١) الاوباش والأوشاب : أراذل الناس .

وهو لم يلق عند كافور من القل عشر معشار ما لقي عند سيف الدولة ، وأغرب من ذلك أنه داوم على مدحه بعد فراقه أيضاً . ومن نظر في الشعر الذي قاله المتنبي في سيف الدولة عند اتصاله به ، وفي الشعر الذي قاله فيه بعد مفارقته ، قال أو كاد يقول إنه كان موقف المتنبي تجاه سيف الدولة موقف المحب تجاه الحبيب ، لا الشاعر المادح تجاه الممدوح ، وإلا فما معنى قوله في قصيدته الميمية :

وا حرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ (١) ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ
مالي اكتمُ حباً قد برى جسدي وتدعي حبَّ سيفِ الدولة الأممُ
إن كان يجمعنا حب لغرّتــه فليت أنّا بقدْرِ الحب نقتسمُ ؟

وهذه القصيدة هي التي حضر إنشادها أبو فراس وجماعة من الشعراء، فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي ، حتى همَّ جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله ، واعراض سيف الدولة عنه .

وقد عبر المتنبي في شعره عن سيف الدولة بالحبيب المعمَّم ، وجعله مقابلاً للحبيب المقنّع ، وذلك في قصيدة قالها بمصر يمدح بها كافوراً بعد مفارقة سيف الدولة ، قال في مطلعها :

فراقٌ ، ومن فارقت غير مــذمّم
وامٌّ ، ومَنْ يَمَّمْتُ خير مُيمَّم

يعني بقوله : (ومن فارقت) سيف الدولة .

---

(١) الشبم : السم . الموت .

ثم قال :

ولو كان ما بي من حبيبٍ مقنَّعٍ عذرت ، ولكن من حبيب معمَّمِ

ولعمري ، لو أتيح للمتنبي من يسأله في حياته ، فيقول له : كيف يكون مَنْ فارقته غير مذمم وقد أُهنت بحضره ، ففارقته ذَليلاً مُهاناً، وطالما أعرض عنك لغير ذنب ، وغضب عليك لغير جرم ، وسمع فيك قول الوشاة ، وأغراهم باحتقارك ؟ وهل تجرأ ابن خالويه النحويّ فشجّ رأسك بمفتاح من حديد رماك به في محضر سيف الدولة ألا وهو عارف بأن ذلك موافق لما يريده بك ممدوحك من الحقارة ؟ ذلك الممدوح الذي صرفت فيه ثلث شعرك ، ومدحته بما لا يستحق مدحاً خلد له على الأيام ذكراً جميلا لا ينسى ؟ هذا مع أنك قد هجوت كافوراً ذلك الهجاء المرّ ، ولم يكن أساء اليك بعض إساءة سيف الدولة ، فهل أقدمك على هجاء كافور قبح منظره وإن لم يسيء اليك ، وأخرك عن هجاء سيف الدولة حسن منظره وحبك اياه وإن جار في معاملتك ، وأنت القائل :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق ؟

لطأطأ رأسهُ حياء ، وسكت واجماً لا يحير جواباً .

فبهذا يتبين أن المتنبي لم يكن ممن حمل بين جنبيه نفساً كبيرة . ولو أنه صرف ما أوتيه من القوة الشعرية العظمى في غير الاستجداء بمدح ظَلَمَة الملوك والأمراء ، لكان أعظم من المتنبي الذي نعرفه اليوم . أنا لا اطالب المتنبي أن ينظم شعره إذ ذاك في المواضيع العالية التي نتصورها، لأن ذلك محال، إذ هو في شعره تابع للعصر الذي عاش هو فيه.

لـكني أقول : ما دام المتنبي ناقماً على ملوك زمانه ، ومحتقراً لهم كما دل عليه كثير من شعره ، كان يمكنه بعد عجزه عن محاربتهم بسيفه أن يحاربهم بشعره ، فيندد بهم ، ويشنع عليهم أفعالهم بوصف ما يراه من مساوئهم ، وتقبيح ما يشاهده من سوء أعمالهم ، أو كان يمكنه على الأقل أن يقف لهم بالمرصاد ، فإن رأى لهم حسنة حمدهم عليها ، وإن رأى لهم سيئة أنـكرها عليهم . ولو أنه فعل كذلك ، لجعل الله له عليهم سلطاناً ، ولوجد له من أهل زمانه أعواناً !

* * *

(٥)

لماذا لقب بالمتنبي :

أكثر الذين كتبوا عن[1] المتنبي قالوا قولاً مبهماً إنه ادعى النبوة في بادية السماوة ، وهي أرض بجبال الـكوفة مما يلي الشام . فان صح الخبر ، كان ذلك سبب تلقيبه بالمتنبي . لـكنه غير صحيح عندي ، لأن مترجمي المتنبي اتفقوا كلهم على أنه ولد في الـكوفة ، ونشأ في الشام ، وبها تأدب ونبغ في الأدب كما ذكرناه فيما سبق . فمن المستحيل عادة إذنْ أن يدعي النبوة قبل ذهابه الى الشام ، لأنه إذ ذاك صبي صغير .

وان قيل ادعاها بعد ذهابه الى الشام ونبوغه في الأدب ، قلنا إن

(١) الصواب : كتبوا في المتنبي .

ذلك باطل أيضاً ، لأن السماوة من بلاد العراق ، والمتنبي لم يقدم العراق في أوائل نشأته إلا مرة واحدة . وذلك انه ورد عليه كتاب من جدته لأمه ، تشكو شوقها اليه ، وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب اليها يسألها المسير اليه ، فحُمَّت لوقتها سروراً به ، وماتت . فقال المتنبي يرثيها بقصيدته التي قال في مطلعها :

ألا لا أري الأحداثَ حمداً ولا ذمّا
فما بطشها جهلاً ولا كفُّها حلما

ثم أنه كرّ راجعاً الى الشام ، ومدح بعد رجوعه اليها ، القاضي أبا الفضل أحمد بن عبدالله بن الحسين الانطاكي . فتى ذهب الى السماوة[1] ، وادعى فيها النبوة ؟ .

ومما يدل على كذب هذا الخبر قولهم إنه لما فشا أمره ، خرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيد فاعتقله زماناً ، ثم استتابه ، وأطلقه . قالوا هذا ، والسماوة ليست من أعمال الشام ، بل هي من أعمال العراق . فكيف يخرج اليه والي حمص ويعتقله ؟ .

نعم ، ان والي حمص قد قبض على المتنبي واعتقله ، ولكن سبب ذلك هو خروجه عليه بأرض سلمية[2] من عمل حمص كما ذكرناه سابقاً ،

---

(١) السماوة : قضاء من أقضية لواء الديوانية في العراق ، مشهورة بصنع « الأزر » .

(٢) السلمية : قضاء من أقضية (حماه) في سوريا . شرقي نهر العاصي .

لا ادّعاؤه النبوة في بادية السماوة ، إذ لا حكم لأمير حمص على السماوة .

ومن هنا نعلم ان هذا الخبر ، أعني خبر ادعاء المتنبي النبوة ، مختلق ، وأن الذين اختلقوه أرادوا أن يؤيدوه ، بما وقع من اعتقال المتنبي وسجنه ، فأبطلوه !! لأن سبب الاعتقال والسجن معلوم كما تقدم .

ومما يؤيد كذب هذا الخبر ، أنه لم يرد في شعر المتنبي ما يدل عليه لا صراحة ، ولا تعريضاً . ومن البعيد أن يكون المتنبي قد قام بأعباء هذه الدعوة ، ولقي في سبيلها ما لقي من الاعتقال والسجن ، ولم يقل فيها شعراً أو لم يجئ لها ذكر في عرض شعره .

وأغرب من ذلك أن بعضهم ادعى أن المتنبي قرآناً أيضاً !! ولا ريب في انه من الموضوعات بعد المتنبي . أما السبب الحقيقي في تلقيبه بالمتنبي ، فقوله :

أنا في أمـــة ـ تداركها الله ـ غريب كصالح[1] في ثمود[2]

وهذا القول هو الصحيح فيما أراه ، فانه لما شبّه نفسه بالأنبياء في هذا البيت ، لقبوه بالمتنبي ، حتى اشتهر بهذا اللقب . وقد اشتهر غير واحد من الشعراء قبل المتنبي بلقب منتزع له من بيت من شعره ،

---

(١) صالح ، (ع) : نبي ثمود . جاء ذكره في القرآن الكريم . دعاهم الى التوحيد فلم يذعنوا له فأنزل فيهم القصاص .

(٢) ثمود : شعب عربي قديم باد أثره قبل ظهور الاسلام وقد ثبت وجوده تأريخياً في كتابة سرجون (٧١٥ ق . م) وفي مؤلفات جغرافي اليونان والرومان وفي الشعر الجاهلي .

كالمرقش[١] والممزق[٢] وغيرهما[٣] . وقد ذكر الجاحظ[٤] في (البيان والتبين) جملة من الشعراء الذين لقبوا بألقاب أخذت من أشعارهم ، فاشتهروا بها . فلمَ لا يجوز أن يكون المتنبي قد انتزع له هذا اللقب من قوله :

أنا في أمّة ـ تداركها الله ـ غريب كصالح في ثمود ؟

* * *

---

(١) المرقش الاكبر : هو ربيعة بن سعد بن مالك ، ويقال عمرو بن سعد بن مالك . وسمي المرقش بقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم .

(٢) الممزق العبدي : هو شاس بن نهار ، وسمي الممزق بقوله :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلا والا فأدركني ولما أمزق

(٣) من هؤلاء :

المتلمس : جرير بن عبدالمسيح ، وسمي المتلمس بقوله :

وذاك أوان العرض جن ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس

ويروي ، حي ذبابه . والعرض الوادي .

المثقب : محصن بن ثعلبة ، وسمي المثقب بقوله :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

والوصاوص ، براقع صغار تلبسها الجارية .

(٤) الجاحظ : أبو عثمان : ولد في البصرة (٧٧٥ ـ ٨٦٨) وتوفي فيها . تثقف في البصرة وبغداد مطلعاً على جميع العلوم المعروفة في عصره ، نسبت اليه فرقة الجاحظية من المعتزلة . كان ثاقب البصيرة ، متزن العقل ، دقيق التعليل . وهو من أئمة الأدب العربي . من مؤلفاته « الحيوان » في سبعة أجزاء طبع عام ١٩٣٨ والبيان والتبيين عام ١٩٣٢ والبخلاء عام ١٩٣٨ . وكلها طبعت في مصر .

(٦)

هل المتنبي شجاع : ؟

إن في شعر المتنبي ما يدل على أنه كان متصفاً بكثير من الصفات الفاضلة ، كالاباء وعزة النفس والصبر والمجد والكرم والشجاعة وغير ذلك ، ولا حاجة الى ايراد شواهد من شعره على ذلك فانها كثيرة معلومة عند أهل الأدب . غير اننا نريد أن ننبه الأفكار الى مسألة أخرى ، وهي :

أيصح أن نكتفي بشعره في معرفة أخلاقه وثبوت تلك الصفات الفاضلة له ، أم يجب أن نحققها بأدلة أخرى غير شعره ؟

أما أنا ، فالى الشق الثاني من هذا السؤآل أميل مني الى الشق الاول؛ لأن الشعراء قد اعتادوا في الفخريات والحماسيات من أشعارهم أن يتمدحوا ويتبجحوا بكل ما شاؤوا من الصفات الفاضلة والخلال الحميدة سواء أكانت فيهم حقيقة أم لم تكن ، فلا تكاد تجد شاعراً لم يدع لنفسه ما ادعاه المتنبي له ، وربما رأينا من الشعراء من يفتخر بشيء اتصف هو بضده ، فيدعي الشجاعة وهو جبان ، ويتمدح بالجود وهو بخيل .

هذا أبو العتاهية ، وشعره في الزهد وشعره في الدنيا ، وقد روى لنا الرواة من أخباره ما يدل على انه كان من أحرص الناس على جمع المال ، وأرغبهم في الدنيا ، وأجمهم لحطامها .

وقد روى لنا الرواة من أخبار المتنبي أيضاً ما يدل على أنه كان يحب المال حباً جماً ، وانه كان حريصاً على جمعه وادخاره ، وهو القائل :

ومن يُنفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ ، فالذي فعل الفقر

إذن يلزم في اثبات ما يدعيه المتنبي من الخلال الفاضلة أن لا نكتفي بايراد الشواهد عليها من شعره ، بل يجب أن نؤيدها بأدلة أخرى من غير شعره إن أمكن ذلك .

ولم أجد في الخصال التي ادّعاها المتنبي لنفسه ما هو مؤيد بغير شعره إلا شجاعته التي جاء فيها من شعره قوله :

عليَّ لأهل الجور كل طِمِرَّةٍ[1] عليها غلامٌ ملء حيزومه[2] غمر[3]
يدير بأطراف الرماح عليهم كؤوس المنايا حيث لا تشتهى الخمر

وقوله :

سيصحب النصل مني مثل مضربه وينجلي خبري عن صمة[4] الصمم
لقد تصبرتُ حتى لاتَ مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركنّ وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم
رِدي حياضَ الردى يا نفس واتّركي حياضَ خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابنَ أمّ المجد والكرم

(١) الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم .
(٢) الحيزوم : وسط الصدر .
(٣) الغمر : البعيد الغور العميق .
(٤) الصمة : الشجاع . الأسد .

وقد ثبتت شجاعة المتنبي بحادثتين :

الأولى قصته مع غلمان أبي العشائر ، والثانية خبر مقتله في العراق .

أما الحادثة الأولى فنذكرها هنا بمقدماتها :

قال في (الصبح المنبي) : قال ابن الدهان في المآخذ الكندية من المعاني الطائية : إن أبا فراس بن حمدان[١] قال لسيف الدولة[٢] : إن هذا المتشدق (يعني المتنبي) كثير الادلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ! !

فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وعمل فيه ، وصار يظهر الجفاء للمتنبي ، ويتحجّب عنه . ولما تكلم أبو فراس ، كان المتنبي غائباً ، فبلغته القصة . ولما حضر ، دخل على سيف الدولة ، وأنشده هذه الأبيات :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا ... فداه الورى أمضى السيوف مضاربا
ومالي إذا ما اشتقت أبصرت دونه ... تنائف[٣] لا أشتاقها وسباسبا[٤]
وقد كان يدني مجلسي من سمائه ... أحادث فيها بدرها والكواكبا

---

(١) أبو فراس : شاعر من بني حمدان .

(٢) سيف الدولة بن حمدان (٩١٦ — ٩٦٤) صاحب حلب .
اشتهر بشجاعته في الحروب وحمايته للعلماء والأدباء منهم المتنبي والفارابي وأبو فراس . وقد قدم اليه أبو الفرج الاصبهاني كتاب الأغاني الكبير .

(٣) التنائف : مفردها تنوفه ، وهي البرية لا ماء فيها ولا أنيس .

(٤) السباسب : المفازه . الأرض المستوية .

حنانَيْك[1] مسؤولاً ولَبَّيْك داعيـا
وحسبي موهوباً وحسبك واهبــا
أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً ؟
أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذبا ؟

قال : فأطرق سيف الدولة ، ولم ينظر اليه كعادته . وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء ، فبالغوا في الوقيعة في حق المتنبي ، وانقطع أبو الطيب بعد ذلك . وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه ، شق عليه ، واكثر أذاه ، واحضر من لا خير فيه ، وتقدّم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف الدولة ، ويتمادى أبو الطيب على ترك قول الشعر ، ويلح سيف الدولة فيما كان يفعله ، إلى أن زاد الأمر ، وكثر عليه ، فقال المتنبي قصيدته الميمية التي أولها :

« واحر قلباه ممن قلبه شَبِم »

ثم جاء وأنشدها ، وجعل يتظلم فيها ، ويقول :

مالي اكتّم حباً قد برى جسدي وتدعي حبّ سيف الدولة الأمم ؟

ولما تمّ انشاد هذه القصيدة ، وانصرف أبو الطيب ، اضطرب المجلس . وكان نبطي من كبراء كتاب سيف الدولة يقال له أبو الفرج السامري[2] ، فقال لسيف الدولة : دعني أسعى في دمه ، فرخص له

---

(١) حنانيك : رحمتك .
(٢) نسبة الى السامرة ، مقاطعة في فلسطين . وعلى انقاضها بنيت مدينة =

في ذلك ، وفيه يقول أبو الطيب :

أسامرىّ ضحكة كل راء فطنت ، وكنت أغبى الأغبياء
صغرت عن المديح ، فقلت أهجى كأنك ما صغرت عن الهجاء !
وما فكرت قبلك في محالٍ ولا جرّبت سيفي في هباء

قال الواحدي : ولما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة ، وقف له رجاله في طريقه ليغتالوه . فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم ، سلّ سيفه وجاءهم حتى اخترقهم ، فلم يقدموا عليه . ونمي ذلك إلى أبي العشائر ، وكان قد غضب على المتنبي لما كان عنده يمدحه ، فأرسل عشرة من خاصته ، فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجاء رسوله الى أبي الطيب ، فسار حتى قرب منهم ، فضرب أحدهم يده الى عنان فرسه ، فسلّ أبو الطيب السيف ، فوثب الرجل أمامه ، وتقدمت فرسه الخيل ، وعبرت قنطرة كانت بين يديه واجترهم الى الصحراء ، فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم ، فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به ، واستقلته الفرس ، وتباعد بهم ، ليقطعهم عن امداد ان كان لهم . ثم كرّ عليهم بعد أن فني النشاب ، فضرب أحدهم وقطع الوتر وبعض القوس ، وأسرع السيف الى ذراعه ، فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب ، فسار وتركهم . فلما يئسوا منه ، قال له أحدهم في آخر الليلة : نحن غلمان

= نابلس ، والسامريون : سكان السامرة يخالفون اليهود في نقاط دينية جوهرية منها أنهم لا يقرون من كتب الوحي الا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة وغير ذلك .

أبي العشائر ، فقال المتنبي :

« ومنقسب عندي الى من أحبه » . . الخ . . الأبيات .

(٧)

وأما الحادثة الثانية ، أعني خبر مقتله ، فقد جاء في (الصبح المنبي) أن (الخالديين)[١] قالا : كتبنا الى أبي نصر محمد الجلي نسأله عما صدر لأبي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة ، وكيف كان قتله .

وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية ، وله فضل وأدب وحرمة . فأجابنا عن كتابنا جوابا طويلاً ، يقول في أثنائه :

« وأما ما سألتم عنه من خبر مقتل أبي الطيب ، فأنا أسوقه لكم وأشرحه شرحا بينا .

اعلموا أن مسيره كان من (واسط)[٢] يوم السبت لثلاث عشرة

---

(١) الخالديان : الأخوان الاديبان الشاعران أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ، شاعرا سيف الدولة الحمداني وخازنا دار كتبه ، المتوفيان في أواخر المائة الرابعة للهجرة وقد نسبا الى « الخالدية » قرية من أعمال الموصل . راجع الديارات ـ تحقيق الأستاذ كوركيس عواد ، ص ٢٥ . وقد حضرا مجلس سيف الدولة أيام اتصال المتنبي به ـ ٣٣٧ ـ ٣٤٦ ، وأصبحا من خواص شعرائه وفي مقدمة ندمائه . وأشهر ما عرف به الخالديان مهاجاة الشاعر السري الرفاء لهما وادعاءه سرقة أشعاره عليهما . راجع الأشباه والنظائر ، ج ١ ، ص ج . تحقيق الدكتور محمد يوسف .

(٢) واسط : اسم عدة مواضع في العراق ، أهمها المدينة التي أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي بين الكوفة والبصرة نحو عام (٧٠٢) كانت على أيام بنى أمية =

ليلة بقيت من رمضان ، والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بني أسد يقال له ، فاتك بن أبي جهل بن فراس بن شداد الأسدي .

وكان من قول فاتك لما قتله : « قبحاً لهذه اللحية يا قذاف المحصنات » !! وذلك أن فاتكاً هذا هو خال ضبة بن يزيد الضبي الذي هجاه أبو الطيب بقوله :

ما أنصف القوم ضَبَّهْ وأُمَّـهُ الطُرْطُبَّهْ

فيقال إن فاتكاً داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته أم ضبة بالقبح في هذه القصيدة ، فكان ذلك سبب قتل أبي الطيب وأصحابه وذهاب ماله . قال : وأما شرح الخبر ، فان فاتكاً هذا صديق لي ، وهو كما سمي فاتك لسفكه الدماء واقدامه على الأهوال . فلما سمع القصيدة التي هجا بها ضبة ، اشتد غضبه ورجع على ضبة باللوم ، وقال له : كان يجب أن لا تجعل لشاعر عليك سبيلا ، وهو يضمر السوء على أبي الطيب ، ولا يتظاهر به .

ثم بلغه انصراف أبي الطيب من بلاد فارس ، وتوجهه الى العراق ، وعلم أن اجتيازه بجبل دير العاقول[١] ، فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه يرون في المتنبي مثل رأيه ، فكانوا لا يزالون يتنسمون أخباره من كل صادر ووارد .

= قاعدة العراق العجمي . أخذت بالانحطاط على عهد العباسيين ثم تحولت عنها مياه دجلة فاخلت أراضيها وتوارت تحت رمال الصحراء .

(١) دير العاقول : مدينة قديمة في العراق جنوبي بغداد . عندها هزم الخليفة المعتمد عامله يعقوب بن ليث الصفار الثائر على دولة بني العباس (٨٧٦) .

وكان كثيراً ما ينزل عندي ، فقلت له يوماً : أراك قد أكثرت السؤال عن هذا الرجل ، فما تريد منه إذا لقيته ؟ فقال : ما أريد إلا الجميل ، وعذله على هجاء ضبة !!

فقلت له : هذا لا يليق بأخلاقك ، فتضاحك ، ثم قال :

يا أبا نصر ، والله لئن اكتحلت عيني به ، أو جمعتني واياه بقعة لأسفكن دمه ، إلا أن يحال بيني وبينه بما لا أستطيع دفعه . فقلت له : كفَّ - عافاك الله - من هذا . ارجع الى الله ، فان الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت ، ولا يحسن منك قتله على شعر قاله .

وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية (١) ، والخلفاء في الاسلام ، فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه . وقد قال الشاعر :

هجوتُ زهيراً ثم اني مدحته ... وما زالت الأشراف تُهجى وتمدح

فقال : يفعل الله ما يشاء ، وانصرف .

وما مضى بعد هذا إلا أيام قليلة ، حتى وافاني المتنبي ، ومعه بغال

---

(١) الجاهلية : هي حقبة تاريخ العرب قبل الاسلام . كانت حضارتهم بدوية وعيشتهم بسيطة ونفسيتهم تتصف بعواطف حب القبيلة والصبر والحزم والحرية والكرم وحسن الضيافة والشجاعة والثأر . ومن شعراء الجاهلية : الصعاليك : (الشنفري ، تأبط شرا ، عروة بن الورد) وأصحاب المعلقات : (امرؤ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبي سلمى ، لبيد بن ربيعة ، عمرو بن كلثوم ، الحرث بن حلزة اليشكري ، عنترة بن شداد) وشعراء البلاط : (علقمة بن الفحل ، المتلمس ، المثقب العبدي ، النابغة الذبياني ، الأعشى الاكبر ، عدي بن زيد ، أبو أذينة) والشعراء الفرسان : (المهلهل ، عبد يغوث ، الحصين بن الحمام ، عامر بن الطفيل ، حاتم الطائي ، عمرو بن معد يكرب ، دريد بن الصمة) وغيرهم .

موفرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والتجمّلات النفيسة والكتب الثمينة والادوات الكثيرة ، لأنه كان إذا سار لا يترك في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه . وكان أكثر اشفاقه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً .

قال أبو نصر : فتلقيته ، وأنزلته في داري ، وسألته عن أخباره وعمن لقي في تلك السفرة ، فعرفني من ذلك ما سررت به له .

وأقبل يصف ابن العميد[1] وفضله وكرمه وعلمه ، وكرم عضد الدولة [2] ورغبته في الأدب وميله الى الأدباء .

فلما أمسينا ، قلت له : يا أبا الطيب ، علام أنت مجمع ؟

قال : على أن اتخذ الليل مركباً ، فان السير فيه أخفّ علي . قلت : هذا هو الصواب ، رجاء أن يخفيه الليل ، ولا يصبح إلا وهو قد قطع بلداً بعيداً .

وقلت له أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواقع المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد ، فقطب وجهه ، وقال : فما تريد بذلك ، قلت : أريد أن تستأنس بهم في الطريق . فقال : أنا

---

(١) ابن العميد : أبو الفتح علي بن أبو الفضل محمد (٩٢٠ ـ ٩٩٧) لقب بـ « ذي الكفايتين » (السيف والقلم) وزير ركن الدولة ومؤيد الدولة . دست عليه الدسائس فسجن وعذب ومات .

(٢) عضد الدولة : (٩٣٦ — ٩٨٣) ولد في أصفهان وتوفي في بغداد . السلطان البويهي . هزم الأتراك في واسط ودخل بغداد وظفر بالعراق وجرجان وطبرستان . كان محبا للعلماء ومحسنا للفقراء .

والجزّار[١] في عاتقي ، فما بي حاجة إلى مؤنس غيره .

قلت : الأمر كما تقول ، ولكن الرأي في الذي أشرت به عليك .

فقال : تلويحك ينبيء عن تعريض ، وتعريضك ينبيء عن تصريح ، فعرفني جلية الأمر .

قلت : إن هذا الجاهل فاتكاً الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام، وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن اخته ضبّة ، وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بني عمه يقولون مثل قوله .

فقال غلامه : الصواب يا مولاي ما أشار به أبو نصر . خذ معك عشرين رجلاً يسيرون بين يديك إلى بغداد ، فان ذلك أحوط .

فاغتاظ أبو الطيب غيظاً شديداً ، وشتمه شتماً قبيحاً ، وقال :

والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي.

قال أبو نصر : فقلت : يا هذا ، أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة لي يسيرون بمسيرك ، وهم في خفارتك .

فقال : والله لا فعلتَ شيئاً من هذا . ثم قال : يا أبا نصر أبنجو الطمير[٢] تخوّفني؟ ومن عبيد العصى تخاف عليّ ؟ والله لو أن مخصرتي[٣]

---

(١) الجزار : الذباح . ويقصد به السيف كناية .

(٢) النجو ـ ما خرج من البطن من ريح أو غائط . والطمير : الفرس الطويل القوائم .

(٣) المخصرة ـ عصى صغيرة يحملها الأشراف والرؤساء من العرب . كانوا اذا تكلموا أشاروا بها ، وقد اقتصر استعمالها على الجيش في الوقت الحاضر وتسمى =

هذه ، ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ، ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يردَه ، معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين . فقلت له : قل إن شاء الله .

فقال : هي كلمة مقولة ، لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتيا .

ثم ركب فكان آخر العهد به . ولما صحّ عندي خبر مقتله ، وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه ، وذهبت دماؤهم هدرا » انتهى .

النتيجة – لا ريب أن منازلة المتنبي عشرة من غلمان أبي العشائر ، ومطاردته إياهم ، وحديثه مع أبي نصر ، وعدم تهيبه الموت ، لما يدل صراحة على شجاعته ، وان كان حديثه مع أبي نصر يدل على ضعف رأيه في هذا المقام ، لأنه لو عمل برأي أبي نصر وأخذ معه زهاء عشرين رجلاً يسيرون بين يديه ، لما كان ذلك مخلاً بشجاعته سيما وقد أخبره أبو نصر أن مع فاتك عشرين رجلاً من بني عمه كلهم يريدون قتله .

فأين المتنبي في هذا المقام من قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني ؟

* * *

= (عصى التبختر) والذي نظنه في تفسير ذلك أنه لما كان الجندي من أولى واجباته استجماع قوته ونشاطه ليظهر بمظهر لائق بالجندي من صفات الفتوة لذلك حمل هذا العصى (التبخترية) لتنبيه أعصابه دائماً الى التوثب والتجمع . وحبذا لو عملت وزارة الدفاع على تسميتها باسمها العربي الأصيل (المخصرة) .

علمه :

العلوم التي نضجت وشاعت في زمن المتنبي ، هي علوم العربية ، أو العلوم الأدبية والعلوم الاسلامية ، كالحديث والتفسير والفقه وأصول الفقه والكلام .

أما العلوم العقلية كالطب والفلك والرياضيات والطبيعيات وغيرها من العلوم التي ترجمت عن اليونانية ، فلم تكن إذ ذاك ناضجة كل النضج ولا شائعة شيوع العلوم الأخرى .

ولذا نرى أعاظم العلماء في عصر المتنبي وقبله كان أكثرهم من علماء العربية وعلماء العلوم الاسلامية ، وكان أكثر تلك العلوم نضجاً في ذلك العهد على ما أرى علم الكلام الذي هو[1] أشبه شيء بالفلسفة الاسلامية . ولم أجد في أقوال الذين تكلموا على[2] المتنبي ما يدل على أنه كان عالماً بغير علوم العربية : تلك العلوم التي يكفي المرء علمه بها لأن يكون أكبر شاعر أو أديب في ذلك العصر .

وقد قالوا عن المتنبي إنه كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيّها[3] ، وانه كان لا يسأل عن شيء إلاّ استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، حتى قيل أن الشيخ أبا علي الفارسي

---

(١) في الأصل : الذي أشبه .
(٢) في الأصل : عن المتنبي .
(٣) الحوشي من الكلام : الغريب .

صاحب (الايضاح) و (التكملة) قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال المتنبي في الحال : حِجلى وظِربى .

قال الشيخ : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال[1] على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً ، فلم أجد !!

وحسبك من يقول فيه أبو علي هذه المقالة !

وحجلى : جمع حجلة ، وهو الطائر الذي يسمى القَبَج . وظربي : جمع ظربان بوزن قطران ، وهي دويبة منتنة الرائحة .

وقالوا عن المتنبي انه لقي كثيرين من أكابر علماء الأدب ، منهم الزجاج وابن السراج وأبو الحسن الأخفش وأبو بكر محمد بن دريد وأبو علي الفارسي .

قال في (الصبح المنبي) : « قال عبدالمحسن بن علي بن كوجك ، حدثني أبي قال : كنت بحضرة سيف الدولة ، وفي المجلس أبو الطيب المتنبي وأبو الطيب اللغوي[2] وأبو عبدالله بن خالويه النحوي[3] ، وقد

---

(١) في الأصل : ليالي .

(٢) أبو الطيب اللغوي : هو عبدالواحد بن علي أبو الطيب اللغوي الحلبي له تصانيف منها : مراتب النحويين . توفي سنة ٣٥١ هـ .

(٣) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني . سكن حلب واختص بسيف الدولة . توفي بحلب سنة سبعين وثلثماية . وقد عرف رجلان غيره بابن خالويه . الأول : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مهجور الفارسي . والثاني الشيخ أبو عبدالله الحسن الشافعي صاحب كتاب الطارقية . راجع تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للعلامة حسن الصدر ، ص ٨٦ و ٨٧ و ١٦٢و١٦٣ .

جرت مسألة في اللغة بين أبي الطيب اللغوي وابن خالويه ، فتكلم أبو الطيب المتنبي ، وضعّف قول ابن خالويه ، فأخرج ابن خالويه من كمّه مفتاحاً من حديد يشير به الى المتنبي ، فقال له المتنبي : ويحك ، أسكت ، فانك أعجمي ، وأصلك خُوزي [1] فمالك والعربية ؟ فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح ، فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبي من ذلك ولاسيما إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً ، وكان ذلك أحد أسباب مفارقته لسيف الدولة » . انتهى .

وليت هذا الراوي روى لنا المسألة بالتفصيل ، فذكر قول أبي الطيب اللغوي وقول ابن خالويه فيها ثم قول أبي الطيب المتنبي ، لنعلم في جانب من كان الحق ؟

وسواء أكان الحق في جانب المتنبي أم في جانب ابن خالويه ، لا نتردد في الحكم على المتنبي بأنه ضعيف الحجة في قوله لابن خالويه :

« ويحك ، اسكت ، فانك أعجمي ، وأصلك خوزي ، فمالك والعربية ؟ » . لأن العلم بعلوم العربية شيء ، والتكلم بالعربية تكلماً

---

(١) نسبة الى أقليم خوزستان الذي دعاه الأقدمون بلاد عيلام ودعاه العرب بلاد الأهواز . وكانت قاعدة هذا الأقليم (جنديسابور) التي كانت مركزاً مهماً للعلوم بعدما التجأ الى فارس عدد كبير من العلماء والأطباء الذين نفاهم (يوستنيان) الامبراطور الروماني . وقد أنشأ لهم كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) مستشفى ومدرسة للطب تهافت اليها التلاميذ من أطراف البلاد وبقيت جنديسابور حتى أيام الخليفة المنصور . وأشهر مؤسسيها الطبيب (بختيشوع) وذريته . راجع كتاب مدارس العراق قبل الاسلام - لرفائيل بابو اسحق - ١٩٥٥ ، ص ٣٤ .

سليقاً شيء آخر . فيجوز أن يكون العربي القح غير عالم بعلوم العربية وإن تكلم بالعربية سليقيا ، كما يجوز أن يكون الأعجمي عالماً بتلك العلوم وان يكون متكلما بالعربية عن تعلّم، لا عن سليقة . كيف لا ، وقد نشأ في زمان المتنبي وقبله وبعده من فطاحل العربية أناس كانوا كلهم أعاجم، كسيبويه(١) وابن جني(٢) وأبي علي الفارسي(٣) والزمخشري(٤) والجرجاني(٥)

---

(١) سيبويه : هو بشر عمرو بن عثمان . أعلم المتقدمين . ولد في البصرة وتوفي قرب شيراز (٧٧٠) بعد امام مذهب البصريين . كما أن الكسائي هو امام مذهب الكوفيين .

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني . ولد قبل الثلاثين وثلثماية للهجرة وتوفي ليلة الجمعة من صفر سنة اثنين وتسعين وثلثماية من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف . راجع تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، ص ١٤٢و١٤٣ .

(٣) الشيخ أبو علي الفارسي الحسن بن علي بن أحمد الفارسي الفسوي النحوي المعروف بأبي علي الفارسي . عاصر المتنبي وأقام بحلب عند سيف الدولة سنة احدى وثلاثين أو أربعين وثلثماية للهجرة . نزل بغداد سنة سبع وثلثماية وكان امام زمانه في علم النحو . ثم انتقل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه . ولد سنة ٢٨٨ وتوفي يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر وقيل ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثماية ببغداد . راجع تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، ص ٧٨و٧٩ .

(٤) الزمخشري : جارالله : (١٠٧٥ — ١١٤٤) ولد في زمخشر قرية في خوارزم . سمي جارالله لأنه جاور مكة . امام عصره في اللغة والبيان والنحو والتفسير .

(٥) جرجان : أقليم في فارس شرقي جنوبي قزوين . فتحه يزيد بن مهلب (٧١٦) وأسس فيه مدينة جرجان . وتسمى استراباد واليها ينتسب :

١ — عبدالقادر الجرجاني : لغوي من تلاميذ الفارسي . توفي ١٠٧٨ .

٢ — أبو الحسن علي الجرجاني : (٩٤٨ — ١٠٠١) ولي القضاء في جرجان والري . توفي في نيسابور .

٣ — علي بن محمد الشريف الجرجاني : (١٣٣٩ — ١٤١٣) ولد في =

والتفتازاني[١] والجوهري[٢] والفيروز أبادي[٣] وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ، فهل يصح إذا تكلم أحد هؤلاء في مسألة من مسائل العربية أن تقول له ويحك ، أسكت ، فانك أعجمي ، مالك والعربية ؟ فلا يليق بالمتنبي أن يتكلم هذا الكلام الفارغ .

كما أننا لا نتردد في الحكم على ابن خالويه بأنه قد خرج عن صدد المناظرة ، وأساء الأدب فيها ، وفعل ما لا يكون إلا في مجالس الرعاع لا في مجالس العلماء والأمراء !!

وعندي أن تفسير هذه الحادثة لا يكون إلا بأحد وجهين ، لا ثالث لهما:

الأول - أن هذا المجلس كان مدبراً لأجلها ، وأن ابن خالويه لم يفعل ما فعل إلا باشارة سابقة من سيف الدولة .

= تاجو قرب استراباد . متكلم وفيلسوف .

٤ — عيسى بن يحيى الجرجاني : من كبار أطباء الشرق . أصله من جرجان . تعلم في بغداد ومن تلاميذه الشيخ الرئيس . أهلكته زوبعة من الرمال عام (١٠١٠) ألف للبيروني (١٢) رسالة في الفيزياء والرياضيات .

(١) التفتازاني : سعدالدين : (١٣٢٢ — ١٣٨٩) ولد في تفتازان (خراسان) وتوفي في سمرقند . حجة في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة والكلام والفقه وغيرها من العلوم .

(٢) ١ — الجوهري : أبو العباس : حساب اشترك في مرصدي بغداد ودمشق بوضع الجداول للمأمون (١٨٢٩) .

٢ — الجوهري : أبو نصر اسماعيل : ولد في فاراب (تركيا) وتوفي في نيسابور . ومن مشاهير أصحاب المعاجم . عاش زمناً بين قبائل البدو لاسيما ربيعة ومضر فتمكن من اللغة وتحقق معاني ألفاظها . أشهر مؤلفاته (الصحاح) .

(٣) الفيروز أبادي : محمد (١٣٢٩ - ١٤١٤) . ولد في كازرون شيراز . من أئمة مؤلفي القواميس العربية .

والثاني – أن المجلس لم يكن مدبراً ، بل كان اتفاقاً ، وأن ابن خالويه لم يفعل ذلك باشارة سابقة من سيف الدولة ، ولكنه علم أن سيف الدولة ساخط على المتنبي ، وانه يرضى باهانته في مجلسه ، ففعل ما فعل . وإلاّ فصدور هذا الفعل منه غريب جداً ، وأغرب منه سكوت سيف الدولة ، ذلك الرجل الذي يجب أن تكون منزلة المتنبي عنده فوق كل منزلة . هذا ، ولا يلزم من قولنا « إن المتنبي لم يكن عالماً بغير علوم العربية » أنه كان يجهل غيرها بتاتاً ، بل من الجائز أن يكون له إلمام بغيرها من العلوم أيضاً ، سوى أنه لم يكن مبرزاً ولا مشتهراً إلا بعلوم العربية دون غيرها .

وقد جاء في شعر المتنبي ما يدل على أنه كان عالماً بأصول الديانات والمذاهب المختلفة لأهل الملل والنحل ، فمن ذلك قوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد … تخبّرُ أن المانويّة تكذب[1]

وقوله :

ألا فتى يورد الهنـدي هامته … كيما تزول شكوك الناس والتهم

فانه حجة يوذي القلوب بها … مَن دينه الدهر والتعطيل والقدم[2]

وقوله في مدح سيف الدولة :

---

(١) المانوية : المذهب القائل بمبدئين بالوجود ، مبدأ الخير ومبدأ الشر . واليه مرجع اليزيدية .

(٢) نسبة الى الدهرية : التي تقول أن الدهر قديم واجب الوجود بل هو الله يتقلب بالانسان كيف يشاء ، الى أن يفنيه وان الأرض لا صانع لها . والقائلون بالقدم هم الدهرية . أما مذهب التعطيل : هو الذي ينكر صفات الباري جل وعلا .

فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقل
وقد عرفتك فما بالها [1] تراك تراها ولا تنزل؟

وقوله أيضاً :

تخـــالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شَجَب ، والخُلفُ في الشجب [2]
فقيل : تخلص نفس المرء سالمـــة
وقيـــل : تشرك جسم المرء في العطب

(٩)

شاعرية المتنبي :

إذا كان أصل الشعر من الشعور . وإذا كان الشاعر هو الذي يشعر بما لا يشعر به غيره من عامة الناس ، فليس في شعراء العرب من هو أعلى شاعرية من المتنبي ، ولا أنبط قريحـــة ، وأثقب ذهناً ، وأدق فكراً ، وأسرع خاطراً ، منه .

وقد اختص المتنبي في شعره بمميزات امتاز بها على غيره .

فمنها أنه أقدر [3] الشعراء على جمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل

---

(١) في الأصل : فما بالهنا .
(٢) الشجب : لغة ، الحزن والموت . وتعمل تجوزاً في التراشق بالسباب والشتم الذي يورث الخلاف وهذا المقصود من البيت .
(٣) في الأصل : أنه الشعراء .

وقلما نرى شعره في الغالب ريان بالمعنى وتكثر في شعره الأشطر المستقلة في اللفظ والمعنى حتى لا تكاد تجد له قصيدة تخلو من ذلك .

ومنها دقة معانيه وغموضها وإشاراته إلى بعض المعاني أحياناً من طرف خفي ، وقلما ترى نفسك اذا قرأت قصيدة من قصائده المشهورة مضطراً الى التوقف عند كل بيت من أبياتها لاعادة النظر فيه وتدبره جيداً . على أنك لا ترجع بعد اعادة النظر فيـــه خائباً ، بل كلما زدته نظراً زادك معنى .

ولهذا عني علماء الأدب بديوانه حتى شرحوه أكثر من أربعين شرحاً . ولم نسمع بشاعر عني الناس بشرح ديوانه اكثر من المتنبي .

ومنها أن له اسلوباً خاصاً به ممتازاً عند من مارس شعره على أساليب غيره من الشعراء .

ولا نقول : أن اسلوب المتنبي في شعره أرق اسلوب .

بل نقول : كما كان للمتنبي سحنة وملامح يمتاز بها وجهه عن وجه غيره من الناس ، كذلك كان له في شعره اسلوب خاص يمتاز به شعره عن أساليب غيره من الشعراء .

وهذا أكبر دليل على أن [١] المتنبي مبتدع في صناعته لا متقبع ، وموجد في شعره لا محتذ ، لا تجد في الشعراء من ابتدع له اسلوباً جرى عليه في شعره كالمتنبي ، فعرف به ، وامتاز على غيره إلا القليل منهم .

(١) في الأصل : على المتنبي .

ولولا ضيق المقام لبحثنا بحثاً دقيقاً عما لهذا الاسلوب من العلامات الفارقة وعما أقامه فيه المتنبي لنفسه من الأعلام والصوى [١] .

فانها كثيرة تحتاج الى بحث طويل ، غير ان المعول عليه في معرفة ذلك هو الذوق الحاصل من طول الممارسة .

ونحن واثقون بأن من صحت قرائحهم وسلمت أذواقهم بممارسة الآداب العربية لا ينكرون علينا ما ندعيه المتنبي في شعره من اسلوبه الخاص .

ولو كان المتنبي يعتني بألفاظه عنايته بمعانيه ، لما جاز لأحد أن يتجشم الفكر في بيان أسباب تفضيله على الشعراء قاطبة ؛ لأن تفضيله إذ ذاك كان يكون من البديهيات ، بل من الضروريات . ولكن المتنبي كان جل عنايته بالمعاني دون الألفاظ ، فلا يكترث إلا لها ، ولا يعول إلا عليها .

ومن هنا قدر أعداؤه أن يجدوا فيه مطعناً ، وإلا فهم كما قال هو :

وكم من عائب قولاً صحيحاً　　وآفته من الفهم السقيم

وعندي أن المتنبي على علاّته أرق شاعرية من غيره ، فهو في الشعر العربي هو الأول والآخر !!

وهو وإن كان أرق شاعرية من أبي العلاء ، إلا أنه أحط منزلة منه في نظري ، أي أني أجلّ أبا العلاء اكثر منه ، لتعاليه عما تنازل اليه

---

(١) الصوى : مفردة ، صوة . ما ارتفع من الأرض . حجر يكون دليلا في الطريق . وجمع الجمع أصواء .

المتنبي من قتو [١] الملوك [٢] بشعره ومدحهم بالباطل ، طمعاً في جائزة يتقاضاها ، أو ولاية يتولاها .

ولعمري ، إني كلما قرأت شعر المتنبي ، حرّقتُ عليه الارَّمَ [٣] غيظاً لاهانته ما آتاه الله من تلك القدرة البيانية العظمى بصرفها في غير مصرفها ، ووضعها في غير موضعها ، واتّخاذه إيّاها آلة ، لوقوفه بين يدي الملوك موقف السائل الصعلوك .

ومن الغريب أننا نرى أكثر الذين ترجموا لنا المتنبي قالوا :

« ان علماء الأدب مختلفون ، فمنهم من يرجحه على أبي تمام والبحتري ، ومنهم من يرجحهما عليه » .

سبحان الله ! !

هبهم ترددوا بين المتنبي وأبي تمام ، سائلين : أيهما أشعر ؟ فاغتُفر لهم ذلك ، لأن أبا تمام شاعر كبير أيضاً وإن كان دون المتنبي شاعرية في نفس الأمر . ولكن كيف يجوز لهم أن يترددوا بينه وبين البحتري ؟ وهل هذا منهم إلا ضلال مبين ؟ فان البحتري ابن لَبُونٍ ، والمتنبي بازل قنعاس [٤] .

---

(١) القتو : الخدمة .

(٢) في الأصل : الملك .

(٣) الأرم : الأضراس . وتحريق الأرم : حك الأضراس بعضها ببعض من الغيظ .

(٤) ابن اللبون : هو ولد الناقة الذي لا يزال رضيعاً . والبزل القناعيس : الفحل من الابل الأصيلة .

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْل القناعيس[1]

أكثر الذين عابوا المتنبي في زمانه ، أو بعده من الشعراء والأدباء ، إنما عابوه إما حسداً له لقصورهم عنه ، وإما تعصباً للمألوف عندهم .

وهذا شأن أوساط الناس ، ينكرون كل ما رأوه مخالفاً لما اعتادوه وألفوه ، وما علموا أن المتنبي مبتدع في صناعته لا متبع ، وانه لا يتقيد بما قيدوا به أنفسهم ، ولا يبالي بالخروج في شعره عن الطرق المعلومة عندهم ، ولو أجمع كل الشعراء على سلوكها .

وهذه الحالة فيه هي أكبر[2] مزية له على غيره ، على يجب أن تقدر حق قدرها مهما كان شعره فليكن .

ومما أسقط أبا فراس الحمداني عن المروءة الأدبية قوله لسيف الدولة : « انك تعطي هذا المتشدق ثلاثة آلاف دينار في السنة على ثلاث قصائد ، ولو فرّقت مئتي دينار على عشرين شاعراً لأتوك بما هو خير من شعره » .

يا للعجب ! !

أما والله ما أهين الشعر والأدب بأبشع من هذا الكلام . ولو كان صادراً عن غير شاعر ، لما عجبنا . ولكنه كلام أبي فراس الذي يعرف ما هو الشعر ، والذي يجب أن يستقل دنانير ابن عمه الكثيرة في جنب كل غرّة من غرر شعر المتنبي . ذلك الشعر الذي خلد لسيف الدولة على الأيام ذكراً لم يخلده له ملكه .

---

(١) لز : أجري في سباق . والقرن : الحبل .

(٢) في الأصل : هي مزية .

ولكن ، قاتل الله الحسد ، فانه هو الذي أنطق أبا فراس بهذا الكلام .

كان الشعراء في زمن المتنبي وقبله اذا مدحوا صدروا مدائحهم بشيء من النسيب ، وكانت هذه الطريقة مسلوكة عندهم لا يخرجون عنها ولا يحيدون ، فخالفهم المتنبي ، وكسر هذا القيد ولم يتقيد به ، وانتقدهم عليه بقوله :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكلُّ بليغ قال شعراً متيَّمُ ؟
لَحُبُّ ابن عبد الله أولى فانه به يُبدأ الذكر الجميل ويُختَتمُ (١)

فانظر كيف ذكر طريقتهم في شطر ، وانتقادها في شطر ، وأوجد له طريقة أخرى في البيت الثاني .

ولكن حساده المتعصبين ، لما ألفوه ، قد حملوا ذلك منه على عجزه عن النسيب وتقصيره فيه ، وقالوا ان المتنبي لا يجيد في الغزل والنسيب . وهو قول باطل ، لأن ما نراه في شعره من الغزل على قلته يدل دلالة قاطعة على أنه من المبرزين في هذا الفن أيضاً .

ولعمري ، ان من يقول :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي ؟

ويقول :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأنَّ عليه من حدقٍ نطاقا

---

(١) في الأصل : لحب ابن عبدالله . وابن عبدالله يقصد به الممدوح .

ويقول :

أملت ساعة ساروا كشف معصمها
ليلبث الركب دون السير حيرانا
قد كنت أشفق من دمعي على بصري
واليوم كل عزيز بعدكم هانا

لا يجوز أن يعد في هذا الفن إلا من المجيدين المبرزين .

قال في (الصبح المنبي) :

« كان لابن جني هوى في أبي الطيب ، وكان كثير الاعجاب بشعره ، وكان يسوؤه إطناب أبي علي الفارسي في الطعن عليه ، واتفق أن قال أبو علي يوماً : اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحث فيه ، فابتدر ابن جني وأنشد :

حلت دون المزار فاليوم لو زر ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو علي ، واستعاده ، وقال : لمن هذا البيت ؟ فانه غريب المعنى . فقال ابن جني : هو للذي يقول :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فقال : والله ، وهذا أحسن ، فلمن هو ؟ قال : للذي يقول :

أمضى ارادته فسوق له قدُ واستقرب الأقصى فثمّ له هنا

فكثر اعجاب أبي علي ، واستغرب معناه ، وقال : لمن هذا ؟ فقال : للذي يقول :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضرٌّ ، كوضع السيف في موضع الندى

فقال : هذا والله أحسن ، ولقد أطلتَ يا أبا الفتح ، فمن هذا القائل ؟
قال : هو الذي لا نزال يستثقله ويستقبح زيه وفعله ، وما علينا من القشور اذا استقام اللباب .

فقال أبو علي : أظنك تعني المتنبي ؟ قال : نعم .

فقال : والله لقد حببته إليَّ ، ونهض ، ودخل على عضد الدولة فأطال في الثناء على أبي الطيب . ولما اجتاز به استنزله اليه ، واستنشده ، وكتب عنه أبياتاً من شعره » انتهى .

(١٠)

وأما شعره ، فاذا قطعنا النظر عن كل من مفردات أبياته ، ونظرنا الى مجموعه نظراً عاماً ، رأيناه متدرجاً الى الكمال بحسب أدوار حياته الأربعة التي مر ذكرها .

فشعره في دوره الثاني ، أو بعد اتصاله بسيف الدولة ، أرق من شعره قبل ذلك .

وشعره عند كافور ، أي في الدور الثالث ، أرق من شعره في الدور الثاني . وكذلك هو في دوره الرابع ، أي بعد مفارقته كافوراً ، أرق منه في أدواره السابقة .

وهذا التدرج الى الكمال ، محسوس في شعره ، يدركه الذوق.

السليم عند أدنى تأمل فيه ، خلافاً لما ادعاه بعض المتأخرين من شراح ديوانه من أن شعره عند سيف الدولة منحطّ عما قبله ، وأن شعره قبل اتصاله بسيف الدولة ، أي في دوره الأول ، وان شعره بعد كافور ، أي عند اتصاله بابن العميد وعضد الدولة ، منحط أيضاً كشعره عند سيف الدولة .

ولعمري ، إن هذا القول من الغرابة بمكان . فقد جعل لشعر المتنبي سيراً ذا تعاريج ، واذا شبهناه نظراً الى هذا القول بأمر محسوس ، قلنا : إن المتنبي كان قبل اتصاله بسيف الدولة ماشياً بصناعته الشعرية على قمة جبل عالٍ . فلما اتصل بسيف الدولة نزل بشعره من أعلى ذلك الجبل الى مهواة عميقة . ثم لما ذهب الى كافور ، ارتقى بشعره من تلك المهواة الى جبل عالٍ كالأول ، حتى اذا جرى فوق هذا الجبل شوطه ، نزل الى مهواة أعمق من السابقة ، وذلك عند اتصاله بابن العميد وسيف الدولة . وهكذا ترى شاعرية المتنبي على هذا الرأي الأفين في صعود وهبوط ، مترددة بين الأوج والحضيض . وأغرب من ذلك أن صاحب هذا الرأي قد علل هذه الحادثة الغريبة بعلل متناقضة ، حيث قال :

« وذلك أنه (يعني المتنبي) عند اتصاله بسيف الدولة وقف منه بباب حافل بالشعراء والعلماء من نقدة الشعر ، فلم يكن له بدّ من حشد القريحة في سيف الدولة ، والاكثار من التحري ، والتنطّس في ألفاظه ومعانيه ، والامعان في الاحتفال الى ما وراء طبعه ، حتى انقلبت قريحته صنعة وبادرته تكلفاً .

ولما لم يكن كذلك عند كافور ، عاد شعره الى السهولة والرشاقة ، فأشبه شعرَهُ قبل اتصاله بسيف الدولة .

قال : وشعره في ابن العميد متأخر عن شعره في كافور ، لكنه أشبه بشعره في سيف الدولة ، أي منحط ، لأن ابن العميد كان من مشاهير علماء الأدب وأمراء النقد . قال : وأما شعره في عضد الدولة ، فأنزل رتبة من ذلك كله ؛ لأنه كان يرسل الكلام فيه من فضل القريحة ، لقلة المزاحمين والنقاد ، فلم يكن يتوخى الاحتفال ولا الاختراع ، إلا ما ساقته القريحة عفواً » .

فانظروا - يا رعاكم الله - الى هذا التعليل المتناقض كيف جعل كثرة النقاد والمزاحمين من الشعراء والعلماء عند سيف الدولة سبباً لانحطاط شعر المتنبي فيه ، لأن خوف النقد على زعمه قد حمل المتنبي على التحري والتنطس في شعره ، لكي يكون شعره جيداً ، فجاءت النتيجة معكوسة ، وصار شعر المتنبي رديئاً منحطاً .

ولما لم يكن هذا الخوف موجوداً عند كافور ، أخذ المتنبي يخشب الشعر خشباً من غير تروٍ ولا تنطس ، فجاء شعره جيداً .

فيا للعجب العجيب !

كيف كان التروي والتنطس في الشعر من أسباب إرذاله ؟ ومتى كان خشب الشعر خيراً من تنقيحه ؟

واذا كان وجود النقاد والمزاحمين عند سيف الدولة وعند ابن العميد سبباً لانحطاط شعر المتنبي فيهما ، لزم أن يكون عدمهم وخلو الجو منهم

سبباً للاجادة عند عضد الدولة كما قد أجاد المتنبي عند كافور لهذا السبب على زعم صاحب هذا الرأي .

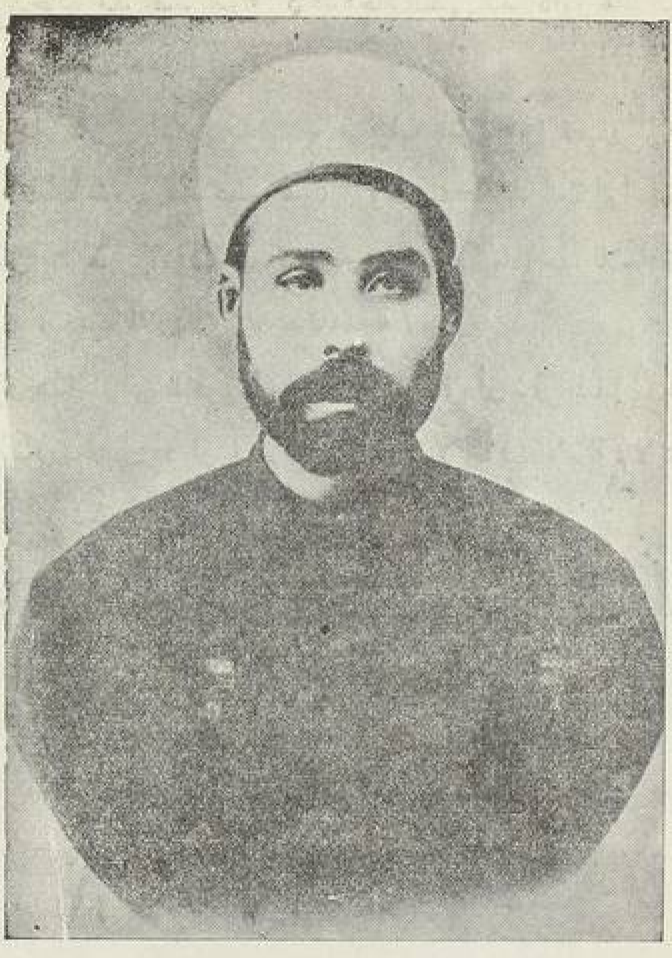
واذا كان الأمر كذلك ، فكيف جعل عدم النقاد والمزاحمين سبباً لانحطاط شعره عند عضد الدولة ؟ وهل تكون العلة الواحدة علة لأمرين متناقضين ؟ فكيف كان خلو الجو من النقاد سبباً للاجادة عند كافور ، وسبباً للارذال عند عضد الدولة ؟

إن هذا الرأي ظاهر الفساد . والحقيقة هي أن شعر المتنبي متدرج الى الكمال بحسب أدوار حياته الأربعة . ولولا خوف الاطالة ، لانتخبنا للقراء غرر شعره منذ أيام صباه الى آخر حياته .

والحمد لله رب العالمين .
معروف الرصافي

بغداد — الاربعاء ٢٠ ربيع الاول ١٣٤٢

٣١ تشرين الاول ١٩٢٣



الكتابة بخطه

هذه صورتي أردد فيها نظراتي الى خيال شبابي

طالباً أسوة بها وسلواً عن زمان الصبا، عهد التصابي

فكأني ظمآن يطلب رِيّاً من سراب السنين، والأحقاب

معروف الرصافي

٢١ كانون الأول ١٩٤٠

« الفهرست »

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	الأخير (الهامش)	ص ٥١	٧
٥	الهامش رقم (١)	ص ٧	٥١
٧	١٧	بيتاً بيتاً	بيت بيت
١٦	١٨	أو فيها	أو أن فيها
٢٢	٢٠	عمياتهم	عمايتهم
٢٤	١٣	كافج	كافح
٢٥	١	يا معبدي	يا مبعدي
٢٦	٩	له ذلك	له من ذلك
٢٦	هامش رقم (١)	مجلة الادب	مجلة الآداب
٢٨	٥	الحيثات	الحيثيات
٣٤	١٣	لم أدرك	لم اذرك
٤٦	هامش رقم (٢)	تايخيا	تاريخيا
٥٣	٤	محمد الجلي	محمد الحلي
٥٧	هامش رقم (١)	سقط عنه ما يلي :	
		والجراز : اسم من أسماء السيف أيضاً	
٦٤	هامش رقم (٢)	بل هل	بل أن